

# المصفاة

مجلة

المجلد الخامس

الجزء الحادي عشر والثاني عشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

الجديد

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

فبشر عبادي الذين يستمعون القول  
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم  
الله وأولئك هم أولو الألباب

# المعراج

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت  
الحكمة فقد أتى خيراً كثيراً وما  
يذكر إلا أوامر الألباب

١٣١٥

( قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ — ٤ ستمبر ( ايلول ) سنة ١٩٠٢ )

— الاضطهاد في النصرانية والإسلام —

( المقالة الثانية لذلك الاستاذ الحكيم والفيلسوف العليم )

ذكرت الجامعة في الجزء الثامن من السنة الثالثة في سياق الكلام على ما جرى لابن رشد ان للناس آراء في: هل الدين المسيحي أوسع صدرا في احتماله مجاورة العلم والفلسفة او ان الدين الاسلامي هو الارحم خلقا والاوسع حلما من الدين المسيحي في قبول أهل النظر في التكون اذا نزلوا بداره ، ولا فوا بجواره ، وذكر أن للقائلين بتسامح الدين المسيحي مع العلم وأهله دون الدين الاسلامي أن فولتير وديدرو وروسوورنان كانوا فيما يضاد الدين ما قالوا ولم يصابوا بضرر وابن رشد لم يقل شيئا سوى انه قرّر ما قال أرسطو ووضحه مع تصريحه بسلامة اعتقاده ومع ذلك اهين وبصق على وجهه . وللقائلين بسعة حلم الاسلام ان الاسلام لم يحكم با حراق احد لجرّد الزيف في عقيدته وكم حكمت المسيحية بذلك

اجديد

و

إهداء من شبكة الألوكة  
www.alukah.net  
ثم جعلت أهل الرأي الأول آخر من يتكلم وقالت: « فيرثُ عليهم  
الأولون بقولهم: هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط أم مع  
القريب والغريب معاً: ثم الا تذكرن الحروب والفتن التي قامت بين  
شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فأضمت امتهم،  
وفرقت كلمتهم، فلي يجوز ان تسوما محاربة شخص واحد وإهداءه ( محاربة  
للإنسانية ) ولا تسوما كذلك محاربة شعب اشعب وأمة لأمة » اهـ

ثم قالت الجامعة إنها لا تفصل بين القوانين، ولكنها فصلت فيهما فصلين،  
الأول في قولها: « إنا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة  
الدينية بمحكم الشرع لأن الحاكم العام هو حاكم وخليفة مموأبناء على ذلك فان  
التسامح يكون في هذه الطريقة أصعب منه في الطريقة المسيحية فان الديانة  
المسيحية قد فصلت بين السلطين فصلاً بديعاً بدلاً المسيل المضارة الحقيقية  
ولتمدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة: أعطوا ما للقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على  
ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا بركت للسلطة الدينية مجالاً  
للضغط على حرية الأفراد من أجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلاً عن قيام  
وسقي الارض بدمائهم البريئة فانها تجني جناية هائلة على الانسانية وعلى ذلك  
لا يكون في هذه الطريقة من التسامح أكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص  
ولو كان هذا النقص أخذ من نقص شقيقتها الا انه لا نقص أعظم من نقص  
التسادر على التمام » والفصل الثاني في قولها: « ان العلم والفلسفة قد تمكنا  
الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نفاخر سهرما في تربة اوربا  
وأينع وأثمر التمدن الحديث ولكنها لم يتمكنا من التغلب على الاضطهاد  
الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً » اهـ

وإني أعجل في الجواب بما يلاقي هذين الحكيمين اجمالا . أما الأول  
فإن كان الانجيل فصل بين السلطين بكلمة واحدة فالقرآن قد أطلق القيد  
من كل رأي بكلمتين كبيرتين لا كلمة واحدة . قال في سورة البقرة  
« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت  
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »  
وقال في سورة الكهف « وتال الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء  
فليكفر »

وأما الثاني فأسأل الجامعة في جوابه : أين الاضطهاد الواقع على العلماء  
اليوم عند المسلمين ؟ وأين أوثك العلماء المضطهدون ؟ وأريد بالعلماء أوثك  
الذين يساؤون من ذكرتهم من فواتير وديدرو وروسو واماثلهم . وكيف  
ساع لها ان تقول ما تقول وهي في ارض مصر ومصر بلاد اسلامية  
وحلها كما ترى ؟ فاذا أرادت شاهداً على حال المسيحية والعلم فلتمر بنظرها  
اليوم على أسبانيا واتقف برهة من الزمان ثم لتحكم . يمكنها ان تعد من  
طلبة العلوم المسلمين مئين في مدارس المسيحيين من جزويت وفيرير  
وأميركان وهي مدارس دينية خصوصاً مدارس الجزويت . فهل يمكنني ان  
أجد طالبا واحداً مسيحياً في مدرسة دينية اسلامية يباح الدخول فيها لكل  
طالب علم من أي ملة ؟ لا نجد الا قليلا منهم في مدارس الحكومة لعلمهم  
انها مدارس رسمية لم يقيم بناء تعليمها على الدين . فهل سمع ان والدا اضطهد  
لأنه بعث بولده الى مدرسة مسيحية يديرها قسوس مسيحيون ؟ الا يعد  
هذا من تسامح الاسلام مع العلم اليوم ؟

لولا ان موضوع كلامي محدود باعتبار التسامح بالنسبة الى العلم والفلسفة وحدهما لذكرت لصاحب الجامعة أن يوجد في بلاده طائفتان تمد آحادهما بالألوف وتزعم كل منهما ان لها نسبة الى الاسلام وهي تعتقد بما لا ينطبق على أصل من أصوله حتى أصل التوحيد والتنزيه عن الحلول ولا تقول بفرض من فروضه المعلومة منه بالضرورة . وأجمع فقهاء الأمة على انها من قبيل المرتدين والزنادقة لا تؤكل ذبائح افرادها ولا يباح لهم أن يتزوجوا من المسلمات وإنما اختلفوا في قبول توبة من تاب منهم ومن العلماء من قال لا تقبل توبته . وهم مع ذلك عاشون بجوار المسلمين ومضى عليهم ما يزيد على تسعمائة سنة وقد كانوا تحت سلطان المسلمين والاسلام في أوج القوة . دخلوا في حكم الأتراك وهم أيام كان ملك فرنسا يستنجد بملكهم وكانت عساكرهم على أسوار فينا . كان أولئك الذين يراهم المسلمون قد خرجوا من دينهم وأسرؤا عقيدة تناقض عقيدتهم قد ظهروا بأعمال تضاد أعمالهم وهم جيرانهم ومحت أيديهم وفي مكنتهم محوهم ومع ذلك عاشوا الى اليوم ولهم أحبة وأصدقاء بين المسلمين . وللمسلمين بينهم مصافون وأوداء فهل عهد مثل ذلك عن المسيحيين ؟

غير ان موضوع قولي محدود كما قلت فلا أخرج عنه وأراني نطقت فيه بكلامي الجملة . واكن لا يكفي ابيان ما عرضت به الجامعة في قولها « هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط او مع القريب والغريب الخ » ولا لتحقيق الحق فيما حكمت به في حكمها الا تفصيلا تعرض فيه حالة الدين مع العلم تحت نظر القاري عن وجه يمكن معه الحكم عن فهم ، ولا تلبس فيه الحقيقة بالوهم

أرى الجامعة جاءت في كلامها باربعة أمور آتى بها على حسب ترتيب النسق في تعبيرها . ( الأول ) ان المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا مثلهم من أرباب الأديان الأخر ( الثاني ) ان من الطوائف الإسلامية طوائف قد اقتنلت بسبب الاعتقادات الدينية ( الثالث ) ان طبيعة الدين الإسلامي تأبى التسامح مع العلم وطبيعة الدين المسيحي تيسر لأهله التسامح مع العلم ( الرابع ) ان إيناع ثمر المدنية الحديثة إنما تتمتع به الأوروبيون ببركة التسامح الديني المسيحي . فلا بد لي من الكلام على كل واحد من هذه الأمور الأربعة وابتدئ منها بالثاني لقلة الكلام عليه

❦ نفي القتال بين المسلمين لأجل الاعتقاد ❦

لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين ( الآخذين بعقيدة السلف ) والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والجماعة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة سلفيين وأشاعرة -- كما لم يسمع بان الفلاسفة الإسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج كما وقع من القرامطة وغيرهم وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد وإنما اشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة . ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الأمويين والمهاشميين فهو حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة نعم وقعت حروب في الأزمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة

وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية وبين الحكومة العثمانية والوهابيين ولكن يتنى لباحث بأذني نذر ان يعرف انها كانت حروبا سياسية ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم مع بقاء الاختلاف في العقيدة وبين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهابيين اما الحروب الداخلية التي حدثت بعد استقرار الخلافة في بني العباس وأضعفت الأمة وفرقت الزكامة فهي حروب منشأها طمع الحكام وفساد أهوائهم وجبهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم . ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاء حبل التمسك به في أيديهم . واكبر داء دخل على المسلمين في همهم وعقولهم انما دخل عليهم بسبب استيلاء الجبهة على حكومتهم . أقول « الجبهة » وأريد أهل الخشونة والفظرة الذين لم يهذبهم الاسلام ولم يكن لمقائده تمكن من قلوبهم . ولو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ويأخذهم باحكامه لرأيتم قد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين وما قرر الاولون وما اكتشف الآخرون في اليد الاخرى ذلك لا خرتهم وهذا لدنياهم وساروا يزاخمون الاوربيين فيزخمونهم

مالنا وللحكام نعرض لهم ؛ الذي علي ان أقول ولا أخشى منازعا : انه لم تقع حرب معروفة بين المسلمين للحمل على عقيدة من العقائد أو على تركها . على ان هذا الأمر الذي جاءت به الجامعة والجاننا الى الكلام فيه خارج عن الموضوع بالمرّة لأن الكلام في التسامح الديني مع العلم لاني تسامح عقيدة مع عقيدة أو دين مع دين وإلا لأوردنا لها من حروب الطوائف المسيحية بعضها مع بعض وحروبها مع غيرها ما يستغرق أجزاء الجامعة بقية هذه السنة اذا أوجزنا ما استطعنا . هل أذكرها بما كان يقع

في القسطنطينية من سنك الدماء بين الارثوذكس والكاثوليك على عهد  
القيصرية الرومانيين ؟ هل أذكرها بحادثة برتلمي سنهالير التي سفك  
فيها الكاثوليك دماء إخوانهم البروتستانت وأخذوهم في بيوتهم على غرة  
وقتلوهم نساء ورجالا وأطفالا ، بماذا أذكر الجامعة من أمثال هذه الوقائع  
التي أسود لها لباس الانسانية ، وتسببت لحدوثها البشرية ؟ هل يمكن  
لأن حد أن يروني حادثة مثالا وقعت بين شعوب المسلمين بعضهم مع بعض  
تختلف في العقيدة معها عظم الاختلاف

أهل المسلمين مع أهل العلم والنصر من كل ملة .

ثم أرجع الى الأمر الأول من الأمور الأربعة لأن الكلام عليه  
أول منه على الأمر الثالث ، وانني لا أستدل على رعاية الإسلام للحكام من  
المؤمنين المسلمة بقول كاتب مسلم وإنما أرجع في جميع ما أذكر الى كتب  
المؤرخين والفلاسفة من المسيحيين وأذكر أسماء جماعة من المسيحيين وغيرهم  
بأنفوا من الخلفاء عند الخلفاء وعامة المسلمين وخاصتهم عالم يباغهم غيرهم  
قال المسير درابر أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الاميركان :  
« ان المسلمين الأوائل في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من  
النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا  
اليهم كثيراً من الاعمال الجسام ، وورقوهم الى المناصب في الدولة حتى ان  
هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسنيه » ( هو يوحنا  
ابن مسويه الشهير ) وقال في موضع آخر : « كانت ادارة المدارس مفوضة  
مع نيل الرأي وسعة الفكر من الخلفاء الى النسطوريين تارة والى اليهود  
تارة أخرى . لم يكن ينظر الى البلد الذي عاش فيه العالم ولا الى الدين



الذي ولد فيه بل لم يكن ينظر الا الى مكانته من العلم والمعرفة. قال الخليفة العباسي الاكبر المأمون: « ان الحكماء هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لأنهم صرفوا عقولهم الى تليل فضائل النفس المناطقة وارتفعوا بقواهم عن دنس الطبيعة هم ضياء العالم وهم راضو قوانينه ولولاهم لسقط العالم في الجهل والبربرية ». وقال في موضع آخر: « ان العرب قد زحزحوا بجيش من أطبايهم اليهود ومؤيدي أولادهم من النسطوريين ففتحوا من مملكة العالم والفلسفة ما أتوا على حدوده بأسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين ». ولست في حاجة الى ذكر ما أسس الخلفاء والملوك من المدارس وأقاموا من المراصد وما حشدوا من الكتب الى المكتاب لأن هذا خارج عن بحثنا الآن وسيرد عليك شيء منه فيما بعد.

عزير طائفة من الحكماء والعلماء الذين حظوا عند الخلفاء بهم.

أذكر ممن اشتهر من الحكماء بالخطوة عند الخلفاء جيورجيس ابن مختيشوع الجنديسابوري طبيب المنصور كان فيسوقا كبيرا عنت منزلته عند المنصور لأنه كانت له زوجة عجوز لا تشبهه في شيء عليه المنصور أخذ إليه ثلاث جوارح حسان فردهن وقال: إن ديني لا يسمح لي بأن أتزوج غير زوجتي مادامت حية. فأبى مكاتبه حتى غلبت عليه زوجة العجوز وأمر المنصور بحمله في در الماء وخرج به ماشيا يسأل عن حاله فاستجاب له في تكبير في رحوته الى بده يمدقن مع يده فخرض عليه الأسماء العظيمة حتى حلة فقتل. وصيت له أن يكون مع أبيه في الجنة وأمر المنصور بحمله في البحر وأمر بحرقه ووصيه منسوقا في عهد الخليفة المقتدر بالله فقتل بالامساك وكثرة اليد او موسى من معه حميد بن محمد بن عمار بن



مدفن آباءه كما طلب . ثم سأله عن يخلفه عنده فأشار الى عيسى بن شهلا فأخذ تلامذته فأخذ المنصور مكان جيورجيس فطفت يوذى التسوس والبطارقة ويهددهم بمكانه عند الخليفة لينال منهم رغائبه فشر الخليفة بذلك فطرده وممن حظي عند المنصور نوبخت النجم وولده أبو سهل وكانا فارسين على مذهب الفرس ثم كانت ذرية مسامة لأبي سهل وكانوا جميعاً منجمين لهم شهرة في علوم الكواكب فائقة

وممن حظي بالمكانة العليا عند الخليفة المهدي توفيل بن توما النصراني النجم وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان . وله كتب في التاريخ جليلة ونقل كتاب أميروس الى السريانية بأفصح عبارة . وممن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بختيشوع الطيب وجبريل ولده ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني . ولأه الرشيد ترجمة الكتب القديمة طبية وغيرها وخدم الرشيد ومن بعده الى المتوكل . وكان يعقد في داره مجلساً للدرس والمناظرة ولم يكن يجتمع في بيت للمذاكرة في العلوم من كل نوع والآداب من كل فن مثل ما يجتمع في بيت يوحنا بن ماسويه وممن علا قدره في زمن المأمون يوحنا البطريق . وولى المأمون إقامه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة . وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور وسابور ابنه وكانا نصرانيين . وولى سابور بن سهل بيارستان جندي سابور

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم ولما مات جزع عليه جزعا شديداً وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصارى وكان بختيشوع بن جبريل عند المتوكل يوماً فأجلسه بجانبه وكان

عليه دراعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادته ويمبث بالفتق حتى وصل الى النيفق (هو ما اتسع من الثوب) ودار الكلام بينهما حتى سأله المتوكل: بماذا تعلمون أن الموسوس (المصاب بنجل في عقله) يحتاج الى الشدة؟ فقال مجتثشوع: اذا عبت بفتق دراعة طيبه حتى بلغ النيفق شددناه. فضحك المتوكل حتى استلقى

وفي أيام المتوكل اشهر حنين بن اسحق النصراني المبادي وهو من أشهر المترجمين لكتب ارسطو وغيره وامتنح المتوكل صدقه فظهرت له عزيمته لا تفل فأقطمه اقطاعات واسعة . وكان قد عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة في زمن المأمون وهو فني فكلفه بترجمة الكتب وكان يعطيه وزن ما يترجم ذهباً . وكانت بينه وبين الطيفوري النصراني محاسنة أفضت الى طلب الحكم على حنين في مجلس الاساقفة بالحرم من الكنيسة فمات غمّاً لاضطهاد أهل طائفته له مع عزيمته وعلو قدره عند الخليفة وهذا الطيفوري أيضاً كان من المقربين عند الخلفاء

ومن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة والمامة في زمنه أيام خلافة الراضي متى بن يونس المنطقي النصراني النسطوري كان متفناً في جميع العلوم العقلية أخذ عنه أبو نصر النازاني ونهت اليه الرياسة في بغداد وكان من أهل دير قتي ونشأ في مدرسة أرماري وقرأ على روفائيل وبنياهين الراهبين اليمقويين .

ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البينكي من فلاسفة دراه الاسلام وهو نصراني طاب له الخلفاء لي بغداد لأجل الترجمة ثم نجى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي انتهت اليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته



وقرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الفارابي

ومهم أبو الفرج بن الطيب فيلسوف عالم . قالوا كان كاتب الجائليق  
ومتميزا في النصارى ببغداد وكان يقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي  
وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا والرئيس يمدح طبه ولا يحمد فلسفته  
وله كلام فيه

ومن كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والخاصة والعامّة ثابت بن  
قرة الحرّاني الصابي من طائفة الصابئين المرووفة وتربى في بيت محمد بن  
. موسى بن شاكر الفلكي المشهور وبلغ في علوم الفلسفة مبلغاً لم يدانه فيه  
غيره وله تأليف كثيرة في المنطق والطب والرياضيات وبلغ عند المعتضد  
مقاماً تقدم فيه عنده على وزرائه . وولد ثابت هذا سنة احدى عشرة  
ومئتين بجرّان . ثم كان ابناه ابراهيم وسنان على قدم أبيهما . ومن حفدته  
أبو الحسن ثابت بن قرة . وكان ثابت وابراهيم وسنان صابئين ولهم من  
المنزلة ما علمت ومدحهم كثير من شعراء المسلمين وهم صابئة

ماذا أعد للجامعة من الفلاسفة والحكماء من الملل المختلفة الذين  
وسمهم صدر الاسلام . ولم يرض عليهم بالرعاية والاحترام . هل تريد أن  
أتم لها الكلام بذكر كثير من فلاسفة الاسلام المسلمين الذين نالوا السمي  
الدرجات وأعلى المقامات عند الخلفاء والملوك . هل أنا في حاجة الى ذكر  
فيلسوف الاسلام أبي يوسف يعقوب الكندي وهو بصري الاصل .

ابن الامير اسحق الذي كان أميراً للمهدي والرشيد على الكوفة وهو من  
ذرية الاشعث بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان  
عالماً بالطب والفلسفة والهيئة والحساب والموسيقى واشتغل بالترجمة كما اشتغل

غيره بها فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وأوضح الفاهض منها وكانت له  
المكانة العليا عند المأمون والمنتصم وولده احمد . هل أنا في حاجة الى ذكر  
نبي موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن الذين اشتغلوا في مساحة الكرة  
الأرضية ومعرفة محيطها وقطرها وما كان لهم من المنزلة عند الامراء  
والخلفاء؟ أذكر ابن سينا ومنزلته في قومه ووصوله الى مسند الوزارة  
عند شمس الدولة؟ أم أذكر الفارابي وما كان له من المكانة عند سيف  
الدولة بن حمدان .

لا ريب ان أبا العلاء الميري يصلح ان يكون رجلاً ممن تعنى الجامعة  
بنشر تراجمهم وقد قال ما لم يقل بمثله فولتير وروسو وقد مات مع ذلك على  
فراشه وقبره اليوم مزار يرحل اليه في بلده .

أظن انه يسهل بعد سرد ما عددناه ان يعرف قراء الجامعة ان الاسلام  
كان يوسع صدره للغريب كما يوسمه للقريب بميزان واحد وهو ميزان  
احترام العلماء للعلم . ويسهل عليّ ان التمس المدرس للجامعة بأنها عندما كتبت  
ما كتبت تمثلت لها بعض حوادث قيل انها حدثت للدين وما حدثت له .  
بل كان سبب حدوثها اما سياسة خرقاء . أو جهالة عمياء . أو تأريث بعض  
السنهاء . لا أطيل خوف الاملال . وانتقل الآن الى الامر الثالث وهو  
المقابلة بين طبيعة الدينين وهو أهم مما سبق ومما سيلحق

طبيعة الدين المسيحي وأصوله

( تمهيد ) ظنت الجامعة ان الدين المسيحي فصل بين الساطة الدينية  
والسلطة المدنية ولذلك كان في طبيعته التسامح . أما الدين الاسلامي فن  
أصوله ان السلطان ملك وخليفة ديني وذلك مما يصعب معه التسامح في رأيها

ليس هذا بكاف في بيان طبيعة كل من الدينين واستعدادها للتسامح مع العلم أو مع أية عقيدة تخالفها بل لا بد من بيان أركان الدين وأهم أصوله التي ترجع إليها جميع الفروع ومنها تصدر الآثار الحقيقية عند النظر في أيّ دين للحكم له أو عليه في قضية من القضايا يجب أن يؤخذ مخصصاً مما عرض عليه من بعض عادات أهله أو محدثاتهم التي ربما تكون جاءتهم من دين آخر. فإذا أريد أن يحتج بقول أو عمل لا تباع ذلك الدين في بيان بعض أصوله فليؤخذ في ذلك بقول أو عمل أقرب الناس إلى منشأ الدين ومن تلقوه على سداجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه وانني أوجز القول في إيراد الأصول الأولى التي وردت في الأناجيل المروفة الآن في أيدي المسيحيين . وجاءت في كلام أئمتهم الأولين . ثم إيراد ما جر إليه الأخذ بتلك الأصول بحكم طبيعة الدين

✽ الأصل الأول للنصرانية الخوارق ✽

أول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عمادله هو خوارق العادات . تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه . ثم انه جعل ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لأصحابه ذلك كما تراه في الإصحاح العاشر من انجيل متى وغيره . وإذا تبعت جميع ما قاله الأولون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات ، من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات . ولا يخفى أن خارق المادة هو الأمر الذي يصدر مخالفاً لشرائع الكون ونواميسه . فإذا ساء أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص

زاد الإنجيل على هذا ان الإيمان ولو كان مثل حبة خردل كاف في خرق نواميس الكون كما قال في الاصحاح السابع عشر من متي : « فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » وفي الحادي عشر من مرقس « ٢٣ لأنني الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون فبماقال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تدعون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم »

فكل بحث يؤدي الى أن للكون شرائع ثابتة وان للعلم والشرائط أو الاسباب أو الموانع أحكاما في معمولاتها أو ماشرطت فيه أو ما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضافا لهذا الاصل في أي زمن وقد كان كل علم من علوم الاكوان لا بد فيه من هذا البحث فكل علم مضاد لهذا الاصل . ثم ان صاحب الاعتقاد بهذا الاصل لا يحتاج الى البحث في الاسباب والمسببات لأن اعتقاده في الشيء ان يكون واراادته لأن يكون كافيان في حصوله فهو في غنى عن العلم والعلم عدو لما يعتقده فما أصعب احتماله اذا جاء بزوجه في سلطانه

الأصل الثاني للخصائية سلطة الرؤساء

وبعد هذا الأصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منحت للرؤساء على الرؤسيتين في عبادتهم وما تسكنه ضائرهم . وقد أحكم هذه السلطة ماورد في ١٦-١٩ من انجيل متي : « أعطيتكم مفاتيح السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحمله على

الأرض يكون محلولا في السموات» وفي ١٨ - ١٨ منه «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء»

فإذا قال الرئيس الكهنوتي اشخص انه ليس بمسيحي صار كذلك وإذا قال انه مسيحي فاز بها فليس المعتد حراً في اعتقاده يتصرف في معارفه كما يرشده عقله بل عينا قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه فإذا اهتزت نفسه الى بحث أوقفها قابض على تلك السلطة . وهذا الأصل ان نازع فيه بمض النصراني اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرناً طوالاً

﴿ الأصل الثالث للنصرانية ترك الدنيا ﴾

يوهم هذين الاصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانقطاع الى الآخرة . تجد هذا الأصل في الانجيل وفي أعمال الرسل وكلمات في الكتب الأولى عشرت به . وتجد الأمر الصادر بالانقطاع الى ملكوت السموات من عالم الملك صريحة في الاصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من الانجيل متى . فما جاء في السادس : « لا تقدر ان تأخذوا الله والمال ٢٥ لذلك أقول لكم لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من الالباس ( الى أن قال ) ٣٣ ولكن اطبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تتراد لكم ٣٤ فلا تهتموا للفردان الغديتهم بما لنفسه يكفي اليوم شره » وقال في التاسع عشر : « ٢٣ الحق أقول لكم انه يسر ان يدخل غني ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضاً ان مرور رجل من ثقب إبره يسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله » وفي العاشر : « لا تقننوا



ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا توبين  
ولا أحذية ولا عصا الخ »

وحدث على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال  
في (١٩ من متى:) « ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت  
السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » . ثم ان ملكوت السموات  
قد نيط أسرته بالإيمان المجرد عن النظر في الاكوان فإذا يكون حظ  
صاحب الاعتقاد بهذا الأصل من النظر في أي علم والعلم لا يدخل له في شؤون  
الآخرة والدنيا قد حرمت عليه . لا ريب ان همه يكون في الصلاة وصرف  
القلب بملكته الى العبادة دون سواها وليس الفكر في الحليقة من العبادة  
عنده فان عبادة الانجيل ليست شيئاً سوى الايمان والصلاة

« الأصل الرابع لتعريف الإيمان بغير المعقول »

وبعد هذه الأصول أصل رابع وهو عند عامة المسيحيين أصل  
الأصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا ارتوذكس ولا بروتستانت وهو ان  
الايمان منحة لا يدخل للعقل فيها وان من الدين ما هو فوق العقل بمعنى  
ما يناقض أحكام العقل وهو مع ذلك مما يجب الايمان به . قال القديس  
انسيلم: « يجب ان تعتقد أولاً بما يمرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد  
بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » فليس الايمان وهو الوسيلة الفردة الى النجاة  
في حاجة الى نظر العقل والكون وما فيه لا يهم المؤمن ان يجيل فيه نظره .  
ويقول القديس « ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » نوع من التفضل  
على النزعة البشرية الى الفهم وعلى الميل الفطري الى تصور ما يتعلق به الاعتقاد  
والا فجرد الايمان كاف في الخلاص . ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا

لدى اجتهاده في شيء يخالف ما تعلق به إيمانه فكان معنى الفهم ان يخلق

تؤمن لنفسه ما يسلي به نفسه على إيمانه بغير المفهوم

(الأصل الخامس للنصرانية الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج اليه البشر في المعاش والمعاد)

ثم ينضم الى الأصول الأربعة خامس وهو ان الكتب المعروفة بالمهد

القديم والمهد الجديد تحتوي على كل ما يحتاج البشر الى علمه سواء كان متعلقاً

بالاعتقادات الدينية والآداب النفسية والاعمال البدنية مما يؤدي الى نيل

السعادة في الملكوت الأعلى أو كان من المعارف البشرية التي يتأتى للعقل

والإنساني ان يتمتع بها . قال تيرتوليان ( وهو أفضل من وصف الاعتقاد

المسيحي في نهاية القرن الثالث قبل ان تعرض عليه البدع الكثيرة ) : « ان

عقائد المسيحية أسست على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب

قدمها وكونها أقدم من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند

الرومانيين وأقدم من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها والزمن ناصر

الحقيقة ثم تحقق النبوءات التي وردت فيها » ثم قال : « ان أساس كل علم

عندهم هو الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة وان الله لم يقصر تعليمنا

بانوحي على الهداية الى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد ان نعلمه من

الكون فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قدّر للبشر ان

يتألموه . فجميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والارض وما فيها

وتاريخ الالام مما يجب تسميته معها ضارب العقل أو خالف شاشد الحس

فالى الناس ان يؤمنوا به أولاً ثم يجهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه أي

على تسميته أيضاً كما ترى وقال بعض فضلائهم : انه يمكن ان يؤخذ من الهادى

بأكمله من الكتاب المقدس

الأصل السادس للنصرانية التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الأقربين  
ينظم تلك الأصول كلها أصل سادس وهو آخرها فيما أرى . ذلك  
الأصل هو الذي ورد في الإصحاح المباشر من أنجيل متى وهو: «٣٤ لا تظنوا  
أنى جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً ٣٥  
فانى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماها  
٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته . » وقد صرح في عدة واضع من الأنجيل  
ان الأخلال بشيء من محبة المسيح أو بالانقياد الى جميع ما أوصى به موجب  
للهلك وإن كان قد جاء في مواضع كثيرة ان الايمان وحده كاف في الخلاص  
غير ان روح الشدة التي جاءت في قوله « لا تظنوا انى جئت لألقي سلاماً الخ »  
هي التي بقي أثرها في نفوس الاولين من المعتقدين بالدين المسيحي وعفت  
على آثار ما كان يصح ان تستشعره النفوس من بعض الوصايا الأخر

نتائج هذه الأصول وآثارها

من هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل الكون وصدوا  
عن سبيل النظر فيه اظهاراً للغنى بالايمان والمعبادة عن كل شيء سواهما  
وحجروا على هم النفوس ان تهض الا الى الدعوة الى ذلك الايمان وتلك  
المعبادة ووسائل الدعوة هي الايمان والمعبادة كذلك فاذا نزعتم العقول الى  
علم شيء من العالم وضعوا امام نظرها كتب المهد القديم وحصروا العلم بين  
دقائقها استغناء بالوحي عن كل عمل ثقل سوى فهمه من عباراته وليس  
يسوغ لسبب ذى عقل فهمه بل انما يتاقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفاً  
من الزيف عن الايمان السليم ( البروتستانت رأوا أنه يجوز تفسير الكتاب  
لفهم الكنيسة )

ثم ان القاء السيف ووضع التفريق بين الاقارب والاحبة انما جاء حافظاً لذلك كله فاذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمي الى موارضة شيء من أمور الايمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ولم يجز في شأن صاحبه هوادة ولا مرحمة كما أفهمه المسيح بعمله على حسب ما ورد في الانجيل فقد قيل له: «٤٧ أمك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك» ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هي أمي ومن هم اخوتي ٤٩ ثم مديده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي . ونحو ذلك ما يدل على وجوب المقاطعة بين من يمتد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده ولا يخفى ان الشيء يكون بزرة ثم نباتاً ثم شجراً فانظر الى ما صار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة وقر في نفوس المسيحيين ان السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة «ان الجهالة أم التقوى» ( وكثير من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يجرون على هذه القاعدة ببركة ما ورثوا عن أبناء الزمن الغابر ) فحصروا التعليم في الاديار ومنعت الكنيسة ان ينشر التعليم بين العامة الا ما كان دعوة الى الصلاح وتقرير الايمان على وجه ظاهر . وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسرارها ظهرت ذات الذنب التي تنسب الى هالي في سنة ١٦٨٢ فاضطربت لظهورها اوروبا ولجأوا الى البابا واستجاروا به فاجارهم وطردها من الجوفولت في الفضاء مذعورة من لعنته ولم تعد الا بعد خمس وسبعين سنة !!

لم يكن يسمح لأحد أن يبدي رأياً يخالف صريح ما في الكتاب وعندما أظهر بلاج رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي ان الحيوانات كان يدركها الموت قبل ان يخطئ آدم بالأكل من الشجرة قام لذلك

ضوضاء وارتفعت جلبة وانتهى الجدل والجلاد الى صدور أمر امبراطوري بقتل كل شخص يمتد بذلك . يقول المؤرخ : وهكذا عد الاعتقاد بأن الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة على الملك

أحرقت كتب البطالسة والمصريين بالاسكندرية على عهد جول قيصر ثم ان تيوفيل بطريك الاسكندرية انتحل أدنى الاسباب لاثارة ثورة في المدينة لاتلاف ما بقي في مكتبة البطالسة بعضه بالاحراق وبعضه بالتبديد ، قال أوروسيوس المؤرخ إنه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب بعد ان نال تيوفيل الأمر الامبراطوري باتلافها بنحو عشرين سنة

ثم جاء بعد تيوفيل ابن أخته سيريل وكان خطيباً مفوها له على الشعب سلطان بفصاحته وكان في الاسكندرية بنت تسمى هيباتي الرياضية تشغل بالعلوم والفلسفة وكان يجتمع اليها كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية وكان لا يخلو مجلسها من البحث في أمور أخر خصوصاً في هذه المسائل الثلاث : من أنا والى أين أذهب وماذا يمكنني ان أعلم . فلم يحتمل ذلك القديس سيريل مع ان البنت لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها المصريين فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق وهي سائرة الى دار ندوتها وجردوها من ثيابها وأخذوها الى الكنيسة مكشوفة العورة وقتلواها هناك ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن العظم وما بقي منها ألقى في النار . يقول المؤرخ راوي هذه القصة : ولم يسأل سيريل عما صنع بهيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها ولمل ذلك كان أول ما تقررت تلك التاعدة : « الغاية تشفع للوسيلة »

مامن عقيدة ظهرت في المسيحية وأريد تقريرها من فريق ونازع فيها

فريق الاوقد سالت لها الدماء فليراجع التاريخ لتشتل أرض مصر مصبوغة بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عندما أريد تقرير عبادة العذراء وأخذها لله أمًا. كان ذلك في طبيعة الدين : ان من لم يتبع المسيح فهو هالك والهالك لا يستحق الحياة . ألم ترى الاصحاح الخامس من الأعمال ان قصة الرجل الذي باع جميع ما عنده وبعده اجاء الى بطرس أعطاه الثمن وادخر لنفسه شيئاً أخفاه عنه فأطاع بطرس على حقيقة الأمر ووبخ الرجل وتصرف فيه بسباب حياته من طريق المعصرة ثم جاءت امرأته وكان لها اطلاع على ما أخفى بها ولم تهره فوجهها لبطرس وأخبرها بموت زوجها فماتت هي أيضاً . فإذا كان الله يسلب حياة جزاء على اختلاس الرجل شيئاً من مال نفسه ويقدمه هدية للرسل فكيف تكون الحياة من حقه اذا خالف خلفاء الله في الارض وتأبذهم فيها يعتقدون

قال البابا أنوسان الثالث عند الكلام في مصدر الدين يخالفون الحقيقة الكاثوليكية . لا يجوز ان يترك لأولاد ابناحان سرى حيرة وترك الحياة لهم من «وحسان» فلم يقصر الجزاء على الجاهلين وانسحب عذراء الى اولادهم وعذراء ترك الحياة لأولادهم يمتنون بها ضرباً من الايمان بسببهم ذنوب لا حق لهم ان يعيشوا وقد جحد آباؤهم

مقاومة النصرانية للعلم

لا أجد في التاريخ ذكر العلم والتفكير بعد ظهور المسيحية في مشهور القوة لتهدد السطنتيين وما بعده الا في أثناء المنازعات الدينية التي كان يحصل فيها نارة بسطان الملوك وأخرى بجميع المجامع وثالثة بسفك الدماء فتضمد شعلة العلم وينتصر الدين المحض . وإنما الذكر كل الذكر لما كان بين

المسيحية وماجاورها من الملل الأخرى من الحروب الدينية لا يحمل على العقيدة بما كان يمتد المسيحيون وما كان يقع بين ملوك أوروبا من التسافك في الدماء باغراء رؤساء الكنيسة وأمر ذلك معروف عند من له إلمام بالتاريخ وليس من موضوعنا الكلام فيه

ولكن أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر في أوروبا بعد ظهور الاسلام واستقرار سلطانه في بلاد الأندلس واحتكاك الأوربيين بالمسلمين في الحروب الصليبية

رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين الى بلادهم وحملوا الى الناس أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من ان المسامين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة وأجلوا عنها دين التوحيد ونفوا منها كل فضيلة وإخلاص وهم وحوش ضارية وحيوانات مفترسة فلما قتل الغزاة الى ديارهم قصوا على قومهم ان أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد وصرورة وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة

ثم كان الخليفة الحكم الثاني جعل من بلاد الأندلس فردوساً كما قال الفيلسوف الاميركاني وكان اليهود والنصارى يتلاقون في تلك البلاد تحت ظلال الأمن والحرية . قال بطرس المحترم الشهير انه رأى كثيراً من العلماء يأتون الى تلك البلاد لمتقي العلوم الفلكية حتى من بلاد انكلترا وأولئك الذين يسمون الى طلب العلوم من أي بلاد جاؤا كانوا يجردون فيها رحباً وسعة وكان قصر الخليفة يشبه ان يكون مصنفاً للاكتب - نسخ وتذهيب وتجليد الخ ما قال

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب ثم اكتشفت المطبعة

وسهل على الناس ان ينشروا آراءهم بعد أن تتهبت أفكارهم بما جلب اليهم  
رسائل العلم الذين حملوه اليهم عن أهالي اسبانيا ومن حملوه مما جاورها . ثم  
انساب الى العقول شي مما سماه الاوربيون فلسفة ابن رشد . عند ذلك  
اهتمت المسيحية بالأمر وأخذت تحارب كل ما يظفر على السنة الناس  
أو يرد على أسماهم مما يخالف ما في الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة .  
قال دي رومنيس : ان قوس قزح ليست قوساً حربية بيد الله ينتقم بها  
من عباده اذا أراد بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء . فجاب  
الى روما وحبس حتى مات ثم حوكت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت في  
النار . وقيل في علة الحكم : انه أراد الصلح بين كنيستي روما وانكلترا .  
وأي ذنب أعظم من هذا الصلح ؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بان  
قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء

مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش

انشئت المراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع ان  
يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة  
وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب  
أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره . وأوعز الى هذا المراقب أن يدقق  
النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يومي الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية ووضعت  
غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة  
( كأن الحكومة العثمانية على ما تنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من  
قرار المجمع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولكن للسياسة لا للدين )  
انشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عند ما خيف ظهورها



إهداء من شبكة الألوكة  
www.alukah.net  
يسمى تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وإيطاليا.

انضمت هذه المحكمة الغربية بطلب الراهب توركاندا قامت المحكمة بأعمالها حق القيام في مدة ثماني عشرة سنة - من سنة ١٤٨١ الى سنة ١٤٩٩ - حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشرروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة فنفذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة » ؟ وسيلة واحدة هي ان يجلس المتهم وتجري عليه أنواع المذاب المختلفة بآلات التمزيب المتنوعة الى أن يعترف بما نسب اليه وعند ذلك يصدر الحكم ويعقبه التنفيذ . قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يلمن كل من ينظر في فلسفة ابن رشد . وطقق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولعن من من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الامراء وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول الى شيء من كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره

اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعاة الى كسبه ونيط بها كشف البدعة والحكم فيها ما اشتد خفاؤها - في المدن . في البيوت . في السرايب . في الأنفاق . في المخازن . في المطابخ . في المغارات في الغابات . وفي الحقول . فوقت بما كلفت به مع البهجة والسرور اللاتقين بأصحاب النيرة على الدين عملاً بالقول الجميل « ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً » كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم ، والقسوس في كنائسهم ،

والإشراف في قصورهم ، والتجار بين بضائعهم ، والصناع في مصانعهم ،  
والعامة في بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، وانما ثقفوا ، ويوقنون  
أمام المحكمة وتصدر الأحكام عليهم يوم اتهامهم

قرر مجمع لاتران أن يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس  
الاعتراف الواجب أدائه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في  
الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلباً لغفرانها) تذهب البنت أو الزوجة  
أو الأخت لاجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد فيكون مما  
تسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه في بيته  
وما يظهر في أعماله بين أهله. فإذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئاً من  
الشبهة في طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه رفع أمره الى المحكمة  
فينتض شهاب التهمة عليه فإذا سأل عن الشاهد الذي عول عليه في اتهامه  
لا يجاب وإنما يقام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف  
أوقمت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب أهل أوروبا ما خيل  
لكل من يلعب في ذهنه شئ من نور الفكر إذا نظر حوله أو التفت وراءه أن  
رسول الشؤم يتبعه وان السلاسل والأغلال أسبق الى عنقه ويديه ، من  
ورود الفكرة المليمة اليه ، وقال باغلياديس ما كان يقوله جميع الناس لذلك  
المهد : « يقرب من المحال ان يكون الشخص مسيحياً ويموت على فراشه »  
حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ على  
ثلاثمائة واربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف احرقوا بالنار أحياء

اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء عامه

لما كان ابن ربه هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في

أوربا على زعم القسوس وكان ابن رشد استاذاً يتعلم عنده كثير من اليهود وقد أتهموا بنشر افكاره وآرائه ثم هومع ذلك مسلم صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معاً فصدر الأمر في ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢ بأن كل يهودي لم يقبل الم يودية في أي سن كان وعلى أي حال كان يجب ان يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوليو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيع لهم ان يبيعوا ما يملكون من عقار ومنقول بشرط ان لا يأخذوا في الثمن ذهباً ولافضة وإنما يأخذون الأثمان عروضاً وحوالات . ومن ذا الذي يشتري اليوم ثمن ما يأخذه بمقد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ ( يعني ان أموال اليهود تكون مباحة بعد جلائهم الذي يتم في يوليو ) . و صدر أمر توركاندو ان لا يساعدهم أحد من سكان اسبانيا في أمر من امورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين كل ما يملكون ناجين بارواحهم على انه لانجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومثقة السفر مع المدمم والفقير وفي فبراير ( شباط ) سنة ١٥٠٢ نشر الأمر بطرد أعداء الله المغاربة ( المسلمين ) من أشيلية وما حولها - من لم يقبل المعمودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل ( نيسان ) وأبيع لهم أن يبيعوا ما يملكون على الشرط الذي وضع لليهود . ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو أن لا يذهبوا في طريق يؤدي الى بلاد إسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فموت ملاقيهم بالتمب مع المرى والجوع الا يجب القارى اذا رأى ان برونو يحرق بالنار حياً بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لأنه قال بقول الصوفية في وحدة الوجود وقال ان

هذا العالم يحتوي على عوامل كثيرة . الحمد لله رب العالمين  
ظهر القول بكروية الأرض – ذلك الأمر الذي عرفه المسلمون  
وصار رأياً لهم في أول خلافة بني العباس ولم تتحرك له شعرة في بدن –  
فأحدث اضطراباً شديداً في عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع  
من الحوادث في شأنه

هل يصدق القارىء ان ما قصده كريستوف كولب من السفر في  
المحيط الاطلانطي لعله يكتشف ارضاً جديدة كانت من الأمور التي  
اهتمت لها الكنيسة وحكم مجمع سلامانك بأنه مخالف لأصول الدين ثم  
أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريزيستوم واوغستين  
وجيروم وغريغوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والأنجيل  
والنبوات والزبور والاسفار الخمسة ولم ينتج هذا العرض شيئاً . ولكن  
ساعده على ما قصد بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم . قال  
كريستوف كولب ان الذي أوحى اليه هذا القصد النبيل هي كتب  
ابن رشد . من هنا نفهم لم قامت له الكنيسة وقعدت .

ما أشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل الجليل « السلطة للقسوس  
والطاعة على العامة » كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط  
ويحل في الارض والسماء فهو باطل يجب مقاومته بكل ما استطاع . لهذا  
حكم على غاليلي الذي ذهب الى ان حركة الكواكب هي على النظام  
المعروف عند الفلكيين اليوم

مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد : هل تدري ماذا حصل من المقاومة

لادخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض ؟ اكتشفت هذه الطريقة

الطبية عند المسلمين في الاستانة ثم نقلتها الى اوروبا امرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتيج في تمضيدها الى التماس المساعدة من ملك انكرا وعادت هذه الشدة في المعارضة عندما اكتشفت طريقة تطعيم الجدري

مقاومة تسهيل الولادة: أي مقاومة لم يلاقها اكتشاف تخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بالأم الطلق. اكتشاف أميركاني رأته حضرات القسوس فيه انه يخلص المرأة من تلك اللمنة أو تلك العقوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين ( إذ جاء في الاصحاح الثالث منه: « وقال للمرأة تكثيراً اكثر اتعاب حملك بالوجع تلدين اولاداً » )

مقاومة السطة المدنية وحرية الاعتقاد: نشر البابا منشور في سنة ١٨٦٤

جاء فيه لمن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية او جواز ان يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يمتقد بان الشخص حر فيما يمتقد ويدين به ربه . وفي منشور له سنة ١٨٦٨ ان المؤمنين يجب عليهم أن يقدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وافكارهم ودعا الروم الارثوذكس والبروتستانت الى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل استاذ في إحدى الكليات رأى رأياً لا يروق للحزب الكاثوليكي فخرمه البابا وطلب من الحكومة عزله وكانت إحدى العضلات السياسية غير ان عزيمته بسمارك نصرت مدينة القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبقت الاستاذ وجمعت التعليم تحت السطة المدنية

مقاومة الجمعيات العلمية والكتب : لا أذكر الجمعيات العلمية

(الأكاديميات) التي النيت والاجتماعات التي عطلت لالشيء كان فيها سوى هداية البشر الى منافعهم وتنوير بصائرهم بكشف ما احتجب عنهم من سر الخليقة بالبحث النظري ومن الطريق العقلي من غير استشارة المسيطر الالهي وهو الكنيسة . ولكن أذكر شيئاً واحداً وهو ان الكردينال اكسيمينيس أحرق في غرناطة ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء أوروبا لذلك العهد

### ﴿ البروتستانت او الاصلاح ﴾

ربما يقول قائل ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وان كان قد قام في المسيحية مصلحون يرون إرجاع الدين الى أصل الكتب المقدسة ويبيحون لعامة أهل الدين ان ينظروا فيها ويفهموها وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والمقول ومن عهد ظهور الاصلاح والرجوع الى أصول الدين الأولى بزغت شمس العلم بالمغرب وبسط للعلم بساط التسامح وذلك لا يمكن أن يكون الا جرياً مع طبيعة الدين

لا أذكر في الجواب عن ذلك الا ما ذكر البروتستانت أنفسهم في تاريخ الاصلاح : استمرت عقوبة الموت قانوناً يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفة وقد أمر كلفان<sup>(١)</sup> باحراق سيرفيت في جنيف لأنه كان يعتقد ان الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقة . وكان يقول : ان روح القدس ينمش الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا ان شوي على النار حتى مات وهكذا أحرق فايي في تلوز سنة ١٦٢٩

(١) كلفان هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوتر الأول

كان لوتير أشد الناس أنكاراً على من ينظر في فلسفه ارسطو وكان ذلك المصلح يلقب هذا الفيلسوف بالخبير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الألقاب التي لا بأس بها اذا صدرت من أهل الفيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! وكان كلفان أقل شأماً للفيلسوف من لوتير لكنه لم يكن أحسن ظناً ولا أوسع صدرًا من يطلع على شيء من كتبه. وكان علماء المسامين يقبون هذا الفيلسوف «المعلم الاول» فتأمل الفرق بين الفريقين !!

قالوا : البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وبإبطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الاخروية وابطال عبادة الصور . ولكنهم لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بان الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري كما انها منبع نور الإيمان بالدين الالهي وانه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئاً مما حوته وأنه لا حاجة الى شيء من العلم وراء ما ورد فيها . وبالجملة انهم لم يبتلوا أصلاً من الأصول الستة التي تقدمت إلا أنهم قالوا بجمع غلو الرؤساء في سلطتهم البنية على الاصل الثاني في سابق قواننا

قالوا : ولهذا لم يكن مذهب الاصلاح اخف وطأة على العلم ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك لان كلا المذهبين يرجع الى طبيعة واحدة ( وهي القائمة على الاصول الستة ) ولم يكن لاهل النظر العقلي جزاء في كلا الملتين الا القتل وسفك الدم

لو كنت ممن يجب الجدل في الدين لعددت فيما ذكرته من عناصر الدين المسيحي ما تضمنه قول بعض الناقدين عند الكلام على الحروب المسيحية واضطهادات الكنيسة « ما أهون الدم على من يمثل في عبادته اكل

الدم وعلى من يعتقد ان خلاص العالم الانساني من الخطيئة انما كان بسفك  
الدم البريء على يد الممتدي الاثيم» لكنني في بحثي هذا لا أريد ان استعمل  
قوة الخيال، ولا أن أذكر ما يمد من قبيل الجدال، وانما آتي بما هو حكاية  
حال، ليس للناظر فيها مقال،

### الفصل بين السلطين في المسيحية

بقي علينا الكلام فيما جعلته الجامعة أساساً للفصل بين السلطين  
الدينية والملكية وبه كانت طبيعة الدين المسيحي ادعى الى التسامح مع العلم  
في نظرها . لو سلمنا أن في تلك العبارة معنى انفصل كما قالت الجامعة وقال  
كثير غيرها ممن أرادوا مقاومة السلطة الدينية فاذا يفيد الفصل اذا كان  
دين الملك نفسه يقضي عليه بمعاداة العلم؟ أفلا يغلب اعتقاد الملك وما يملك  
نفسه مما فيه نجاته الروحية على مطالب الملك؟ وكم من ملك جعل مصالح  
ملكته قربانا لسلطان عقيدته . هب ان مصالح الملك تكون دائماً أغلب  
على النفس من حكم العقيدة وقاهر الايمان والوجدان وقد أقام الدين  
سلطين منفصلتين احدهما تحمل وتربط في الارض وفي السماء فيما هو من  
خاصة الدين والأخرى تحمل وتربط في الأرض فيما هو من خصائص  
الدنيا . أفلا يكون هذا الفصل قاضياً بتنازع السلطين وطلب كل واحدة  
منهما التغلب على الأخرى فيمن تحت رعايتهما معاً؟ وهل يسهل على السلطة  
الدينية أن تدع رعاياها تتصرف في أبدانهم وأموالهم بل وفي عقولهم أيدي  
الملوك بما تقتضيه مصالح الملك الثاني اذا كان ذلك التصرف مخالفاً لما جاء  
في كنز المعارف وهو الكتب السماوية وتأويل الرؤساء الروحانيين وسننهم  
فاذا همت هذه السلطة بالمعارضة أفقصر الأخرى؟ هذا هو الذي وقع



www.alukah.net في العالم المسيحي منذ ظهرت سلطة الدين

كيف يتسنى للسلطة المدنية أن تغلب على السلطة الدينية وتقف بها عند حدها والسلطة الدينية إنما تستمد حكمها من الله ثم تمد نفوذها بتلك القوة إلى أعماق قلوب الناس وتديرها كيف تشاء. والملك لا قوة له إلا بأولئك الناس المغلوبين للسلطة الدينية؛ لا يتأتى للملك أن يغلب تلك القوة إلا بعد أن يتناول من الوسائل ما لا يد لإضعاف سلطتها. نعم هذا الفصل ليس سهل التسامح لو كانت الأبدان التي يحكمها الملك يمكنها أن تأتي أعمالها على حدة مستقلة عن الأرواح التي تحيا بها والأرواح كذلك تأتي أعمالها بدون الأبدان التي تحمل قواها

ثم هل هذا هو معنى قول الأنجيل؛ القصة على ما جاء في الأنجيل أن بعض المرائين أراد أن يتسقط المسيح ليأخذ عليه ما يحم به فسأله: أيجوز أن نمطي جزية لقيصر؛ فأجاب لم تجربوني اثتوني بدينار لا أنظر إليه. فأتوه بدينار فقال: لمن هذه الصورة والكتابة؛ قالوا له لقيصر فقال: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فمناه الظاهر من سياق القصة أن صاحب السكة التي تتعاملون بها إذا ضرب عليكم أن تدفعوا منها شيئاً فادفعوه له أما قلوبكم وعقولكم وجميع ما هو من الله وعليه طابع صنفته فلا تعطوا منه لقيصر شيئاً. والعلم ليس مما عليه طابع قيصر بل عليه طابع الله فلا يمكن أن يكون العلم تحت سلطة غير السلطة الروحية الدينية الجديدة

فأي تسامح مع العلم في هذا

اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية

هذا الذي عرضناه من طبيعة الدين المسيحي وأوردناه من مشاركته

أهدى من شبكة الألوكة  
www.alukah.net  
فيما بعد نشأته وما وقع من حوادث أهله مع طلاب العلم ورواد المعارف  
في كل زمن الى ما يقرب من أيامنا هذه كل ذلك مأخوذ من تاريخهم  
الذي كتبوه عن أنفسهم ومن نصوص كتبهم الدينيه التي يتوكلون عليها  
فيما ذكرنا من سيرتهم وأعمالهم

أما رأيي ورأي أهل العقيدة الصحيحة من المسلمين في المسيح عليه  
السلام ودينه فهو على غير ما رآه القارىء . انا نعتقد ان المسيح روح الله  
وكلته ورسوله الى بني اسرائيل بعث مصداقاً لما بين يديه من التوراة  
وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد في شؤون معاشهم ومعادهم  
ولم يطالبهم بتعطيل قوّة من قواهم التي وهبهم الله تعالى إياها بل طالبهم  
بشكر الله تعالى عليها ولا يشكر حق الشكر الا باستعمالها جميعها فيما  
أعدّها الله له . والمقل من أجل القوي بل هو قوّة القوي الانسانية  
وعمادها والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه  
وكل ما يقرأ فيه فهو هداية الى الله وسبيل للوصول اليه . وكل ما صح عندنا  
عن السيد المسيح لا يخالف شيء منه هذا الذي نعتقد . فان صح عنه شيء  
يكون في ظاهره مخالفة لهذه الأصول أمكننا تأويله حتى يرجع معناه  
إليها أو وكلنا الامر فيه الى الله وقلنا « لا علم لنا الا ما علمتنا » .

الدين دين الله وهو دين واحد في الاولين والآخرين لا تختلف  
الا صورته ومظاهره . وأما روحه وحقيقته ما طولب به العالمون أجمعون  
على السنن الانبياء والمرسلين فهو لا يتغير - إيمان بالله وحده وإخلاص  
له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم لبعض في الخير وكف أذاهم بعضهم  
عن بعض ما قدروا . وهذا لا ينافي الارتقاء في الدين بارتقاء عقول البشر

واستعدادهم لكمال الهداية . ونعتقد ان دين الاسلام جاء ليجمع البشر  
 كلهم على هذه الأصول ومن أم وظائفه ازالة الخلاف الواقع بين أهل  
 الكتاب ودعوتهم الى الاتفاق والاخاء والمودة والائتلاف وهذا ما عمل عليه  
 المسلمون قرناً بعد قرن بحسب قوة تمسكهم بالاسلام

فاذا سأل سائلٌ إذا كان ذلك الذي قدمت فيما سبق هو اعتراف  
 فضلاء الأوربيين أنفسهم في منافاة طبيعة الدين للملم واشتداده في معاداته  
 فما هذا الانقلاب الذي حصل في أوروبا وما هذا التسامح الذي يتمتع به الملم  
 اليوم في أقطارها؟ فجوابه في الكلام على الامر الرابع مما ذكرت الجامعة  
 وهو يكون بعد عرض طبيعة الدين الاسلامي وما يليق أن يكون له مع الملم  
 وما انجر اليه الحال بمقتضى تلك الطبيعة وما عرض عليها مما سترها وحال بينها  
 وبين أثرها في أخريات الأيام؛ وسنوجز القول فيه كما أوجزناه فيما مضى

### باب الاسئلة والاجوبة

( ا س ) غممة المتصوفة من الشيخ عبد الله عبد الرحمن بالقنات : قال بعد كلام  
 يعرض فيه بعلماء التقليد وعدم الثقة بهم ويثني فيه على المنار ما نصه  
 « ما برى سيدي فيمن نعلق بالشهادتين أو بطلاق امرأته أو بأي عقد يحتاج  
 في اعتباره الى صراحة النطق نطق به كما تصنعه هذه الفرقة ( المتصوفة ) في ذكرهم  
 وأريد غمفتهم . اهو إسلام صحيح ، أو طلاق صريح ، أو عقد ممتبر شرعاً؟  
 فان قائم بصحته كلية فما هذا الذي ينكره الناس على هذه الطائفة ؟ وان رأيت  
 غيره فأني شيء هو؟ الغو من الكلام ، لا يثبت به إسلام ، ولا يعطي ما يعطيه اللفظ  
 الصريح من المعاني »

( ج ) انغممة هي النطق لا بيان فيه وأصلها أصوات الثيران عند الذعر وتقع  
 من الناس اضطراراً يقال : غمغم الأبطال عند الكفاح في الحرب . وهذا هو الذي

يطلب المعنى الحقيقي . فمما عظم الانسان مخترعاً كما يكون لا عباً وهاولاً فلذا جاء في مره بكلمة الشهادة فلا يتدبرها ظاهراً ولا باطناً . أما عدم الاعتداد بها في اللحن فلأن اللب بأصل الدين سخرية ومزح وهو مزيد في الكفر فكيف يحصل به الإيمان ؟ وأما عدم الاعتداد بها في الظاهر فلأنها غير ظاهرة وربما لا يعرف غير اللحن منها وقت في عمت . ولأن قرية المرز والسخرية تصرف الكلام عن ظلمه ومثل هذا حال في الطلاق إلا أن التقهاء من الحنفية والشافعية يعتبرون منزل الطلاق جيداً فلذا اعترف بأنه في عمت نطق بصفة الطلاق المتبررة فرعاً بحكم القاضي عليه بما عتبه تلك الصيغة في منعه . وإذا كان اللحن يتقد ذلك فهو يعمل به أيضاً والسائل يعلم ان العقود التي من شأنها أن يحكم فيها الحاكم تكون المبررة فيها بظلم القول ويلتزم وأما العبادات فأبيرة قيا بما ورد في الكتاب الترتيز والتي الصحيحة مع الاخلاص في القلب ومحبة التوجه الى الله تعالى . فكل من ينكرون على التصورة للتعصبي في الذكر أهم احترعوا لاهمهم عبادة لم يأتوا بها الله تعالى في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لهم قوله عز وجل « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ويصدق عليهم قوله تعالى « اتخذوا دينهم مهزواً ولياً » ولكل مسلم الحق في انكار كل عبادة لم ترد في الكتاب والتي في ذاتها أو صورتها فقد أخيراً الله تعالى في كتابه بأنه « أكل لنا ديتلوا تم علينا به فمت فكل من يزيد فيه شيئاً فهو مردود عليه لأنه مخالف الآية الشرعية والحديث الصحيح » كل من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد »

كل بدعة في الدين فهي ضلالة كما ورد في الحديث وأما البدع التي منها حسن ومنها سيء فهي الاختراعات المنطوقه بأمور الناس ووسائله ومقاصده وهي الراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » ولولا ذلك لكان لنا أن تزيد في ركعات الصلاة أو سجدها والله أعلم

(س ٧) خزانة الثمرة محمد اقدى عيسى السمرية بيولاقي : أرجوكم اظنني عن (الشامرة) وهي ان تدخل امرأة تحمل عقداً من اللؤلؤ على احدى النساء الواضات فيكون أثر ذلك في الواضحة أنها لا تحبل بعد ذلك أبداً إلا أن تأتي بتقديم اللؤلؤ فتنه في الماء بشكل مخصوص فأنها بعد ذلك تحبل وقد أتت كثرة التجارب كثيراً من هنا فهل ورد عنه شيء في الشرع الشريف

(ج) الشرع أباح للناس أو أرشدهم إلى البحث عن منافعهم الدنيوية ليستفيدوا مما ثبت لهم فأنده ويجتنبوا ما ثبت لهم مضرته فلو فرضنا أن التجارب التي ذكرها السائل صحيحة محققة لكان حكمها في الشرع أنه يحرم على المرأة أن تدخل على النساء بعقد من الأوثان لأنها تضرها بمنع الحبل نائية لاسيما إذا كان العقد خفياً أو كانت النساء لا تعرف العلاج أو لا تقدر عليه . وانه يجوز لمن منع حياها بذلك ان تعالج نفسها بوضع عقد من الأوثان في الماء إذا أرادت إزالة المانع

أما نحن فلا نعتد بتجارب العامة ولا سيما النساء ولا نرضى للسائل أن يصدقهن بهذه المزاعم وكم هن من أمثالها كرمهن في الزار والعاقل يشك في مزاعم هؤلاء الجاهلات إذا كانت في ذاتها قريبة في نظر العقل فكيف يصدقهن فيما يكون بعيداً من النظر كسألتنا فان العقل لا يتصور علاقة لعقد الأوثان بأمر الرحم والتناسل لاسيما في صورة الانفصال والبعث

## باب الرد على شبهات المسيحيين

### ( إيمان المسلمين وأعمالهم )

جاء في الجزء ٨ من مجلة بشار السلام نبذة تحت هذا العنوان ما خصها أنه يجوز على مذهب أهل السنة « ان يؤمن أحد بالاسلام ايماناً حقيقياً وتبقى أعماله شريرة » واعترض الكاتب على هذا اعتراضين أحدهما « ان الايمان انى لا ينشئ في صاحبه توبة وعمل صالحاً بل يتركه وسيئاته تفوق حسناته ومضاره تزيد عن منفعه . . . فهو ايمان باطل عديم النفع يحط من كرامة الخالق ويزيد في شتمه الخلق » . ثانيهما « عجز الايمان الحمدي عن الخلاص التام » وقد أورد الكاتب بعد الاعتراض الأول كلمات من كتب المهديين تدل على أنه يطاب من الانسان أن يكون كافراً ولكنها لا تدل على أن المؤمن يكون معصوماً من الذنوب . وأورد بعد الثاني كلمات تدل على أن الايمان بالمسيح كاف للخلاص ولكن لم يشترط مع الايمان عملاً صالحاً

لو كان هؤلاء المعترضون يعتقدون بما يقولون لكانت هدايتهم قريبة واقناعهم أقرب ولكنهم يلوكون الكلام ويلوون ألسنتهم بالكتاب ليفتوا به عامة المسلمين الجهلاء ولا يبايرون ان كان الكلام حجة عليهم . عهدهم الجديد ناطق بان البر والعمل بالناموس الالهي لا يعينان عن الانسان شيئاً وانما يفني عنه الايمان بالمسيح فقط وبذلك

يخو ويرث الملكوت وإن كان شر الأشرار . وأفجر الفجار ، والقرآن لا يكاد يذكر الإيمان الا مقروناً بذكر العمل الصالح . وورد في السنة الصحيحة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان . وهذه السنة مؤيدة بحمس وسبعين آية من القرآن . وهذا ما عدا الآيات التي ذكر فيها العمل الصالح بدون ذكر الإيمان قال تعالى « وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وقال عز وجل « ليس بأمانتكم ولا أمانتي أهل الكتاب . من يعمل سوءاً يجز به ولا يجذله من دون الله وانياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها شيئاً » وقال جل ذكره « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وحجرت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا » وقال تقديست أسأؤه « والمعصية ان الانسان اني خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » فهذه السورة القصيرة أجمع تافضائل وأبأنع في الهداية من جميع الكتب التي في العالم سماوية كانت أو غير سماوية وهي كافية لاتكون ديناً مستقلاً اقوم يتخبرون

ان الشبكة التي يصيد بها الجاهلين هذا الكاتب وأمثاله الى المسيحية هي أن خلاص الانسان محصور في ان يؤمن -- أي يقول وان لم يعقل -- ان الاله مركب من ثلاثة أصول كل واحد منها عين الآخرين فالثلاثة واحد وان احد الثلاثة وهو الابن حل في جسم انسان بواسطة آخر وهو روح القدس فصار هذا الانسان الاله وابن الاله وانساناً وابن الانسان وصار هو الله ثم انه ساطع أعداءه على نفسه فضلبوه واحتمل الألم واللغة الالهية لاجل خلاص الناس من ذنب أبيهم آدم وذنوبهم لأنه لم يجد غير هذه الطريقة لخلاص عباده

لا يطالب هذا الكاتب وأمثاله ممن يدعوهم الى دينه الا هذا القول الذي لا يعقل ولا يحمل النفس على عمل صالح بل يجبرها على جميع المعاصي والجاهل يجب أن تبأح له المعاصي ويكون ناجياً بكلمة يقوها . فاذا كان دعاة النصرانية قد يداهم أن يشترطوا مع هذه الكلمة التي يسمونها إيماناً ترك المعاصي والأعمال الصالحة فأية مزية لديهم غير تلك الكلمة التي لا تعقل ولا تفهم ؟ الا يعلم انه اذا دعا مسلماً الى دينه وطالبه بترك المعاصي وبعمل الصالحات فانه لا يستطيع أن يصيده مهما كان جاهلاً لانه يقول ان هذا يكلفني بمثل ما يكلفني به ديني ويزيد علي شيئاً آخر وهو الإيمان بما لا أعقله ولا أفهمه

الجديد

و  
شبكة

NEW & EXCLUSIVE

« شهداء من شبكة الألوكة »  
وهو أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وان الله عجز عن انحاء الناس بدون أن يهين ذاته العلية بالحلول في أحدهم وبالثالم وبلعن نفسه

المسلمون يمتقدون أن الايمان يهذب الاخلاق ويصاح الاعمال وأنه يجوز مع ذلك ان تغاب على المؤمن شهوته أو غضبه فيعمل شراً لاسيما اذا لم يترب على أعمال الايمان من النشأة الأولى ولكنه يرجع ويتوب عن قريب قال تعالى « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » وقال سبحانه « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم » ومن التوبة أن يعمل صالحاً يكفر سيئته « ان الحسنات يذهبن السيئات » فاذا قصر فهو تحت مشيئة الله

فتبين مما ذكرنا بالاختصار أن الايمان عند المسلمين يثمر الاعمال الصالحة وان العمل لاقيمة له في ايمان النصارى . أما قول مجلة بشارت السلام في نتيجة الاعتراض الاول : « وبناء على ماتقدم كل ايمان لا يكون الكمال غايته والتقوى ثمرته فهو اما ايمان كاذب بالإله الحق كإيمان النصارى بالاسم واليهود بالاسم أو ايمان صادق ولكنه باطل خيالي قائم على الاوهام » . فهو مسلم ولقد أنصفت فيما كتبت عن ايمان النصارى ولم يكن من شأنها ذلك فان ايمانهم ليس الا أسماء سموها وأقوالا لا تعدو القم لان العقائد ينكرها ، ولا يستطيع أن يتدبرها . وأما قولها بمد ذلك « وأظنك لم تنس ذكر القوم الذين هم على الاسلام بالاجماع وهم مع ذلك من أهل العصيان والفسجور بحيث يحكم عليهم بالسجر في جهنم مدة لاتنقص عن تسعمائة سنة ولا تزيد عن سبعة آلاف » الخ . فهذا التحديد فيه لم يصح في كتاب ولا سنة فهو لا يعتمد به عند المسلمين وان ذكر في بعض الكتب فكم في الكتب من أحاديث موضوعة وأقوال مكتوبة ولا حاجة علينا الا في القرآن الكريم والاحاديث الصحيحة . وأما كلام المؤلفين في أمور الآخرة فلا يعتمد به سالم يكن منقولاً على أنه لا يجب الايمان فيما يتعلق بعالم الغيب كاحوال الآخرة الا بالقرآن والاحاديث المتواترة وهي قليلة جداً . وهذا الذي قلناه هو الجديد

الاصل الممول عليه عند المسلمين

وأما قوله تعالى « وان منكم الا واردها » فليس خطاباً للمسلمين كما زعم الكاتب لان الآيات التي قبلها كلها في الكفار فقيل ان الخطاب لهم خاصة وقيل انه عام والمراد بورود المؤمنين حينئذ المرور عليها والنجو عندها قبل دخول الجنة وبذلك يعرفون مقدار نعمة الله تعالى عليهم بدخول الجنة

(كلمات) أتم هذا الرد بكلمتين أولاً للمسلمين الذين يرسلون إلينا هذه الجرائد لندرد عليها: لا يحزنكم أيها المسلمون هذا الاعتداء الذي لم تتعدوه ولا تمدوه من سيئات حرية المطبوعات فهو من حسناتها لأن هذا الاعتداء على الطمن بدينكم هو الذي يوقظكم من نومكم ويبعث فيكم شعور البحث والاستدلال ويحيي فيكم روح الغيرة المليئة والمباراة القومية حتى تعرفوا حقائق دينكم بالبراهين والدلائل والبحث لا يزيد الحق الا ظهوراً

والكلمة الثانية للنصارى المسترضين ، الذين يسمون أنفسهم مبشرين ، وهي :  
 اننا نعتقد انكم تظنون بدين الاسلام الذي لولاه لا يثبت دين في هذا العصر المنير  
 مأجورين لا معتقدين بما تقولون وما تكتبون . ولذلك يترك أحدكم التبشير اذا عزل  
 من الجمعية ومنع عنه الراتب الذي كان له . ولو كنتم تعتقدون بالدين لعلمتم ان دين  
 الله واحد وهو تنزيه الباري وتوحيده والاخلاص في عبادته وترك الشرور وعمل البر  
 ونفع العباد . وكنتم ترون ان الاسلام قد خدم العالم الانساني بهذا الاصلاح المنقح وانه هو  
 دين الانبياء اجمعين ظهر في اكل ارتقاء وأخرج أهل الكتاب من الخلاف والمشكلات  
 ولكن الهوى يصدكم عن هذا فاعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون ،

### بَابُ الرُّضَاءِ وَالرَّاءِ

#### المصريون في أوروبا وسوء التقليد

لما ولع أمراء المصريين وكبرائهم بالاصطياف في أوروبا دب فساد التقليد في  
 في نفوس الطبقات المتوسطة المتصلة بهم فصار الكثيرون منهم مهاجرون الى أوروبا بالتبذير  
 الاموال ، واقتباس أسوء الخلال ،

وقد علمنا أن شيخاً من هؤلاء استدان مبالغاً من المال وسافر به الى باريس وقد  
 أنحف بنتاً له في المدرسة السنوية برقمة بريدية مصورة ( كرت بوستال ) أرسلها اليها  
 في البريد . ولو علم القراء ماهي الصورة التي عليها لكان لهم عبرة في هذا التقليد الضار  
 ولا يكون التقليد الاضارا

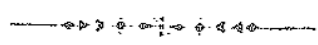
تلك الصورة هي صورة أشهر بغي من مواسمات باريس وقد صورت على الرقمة  
 عارية لترغيب الفساق بالأقبال عليها وكتب تحت الصورة ووصف مكانها وكتب  
 الشيخ المصري ابته تحت تلك الكتابة الفرنسية أنظري يا بنتي ما أجل هذه العادة



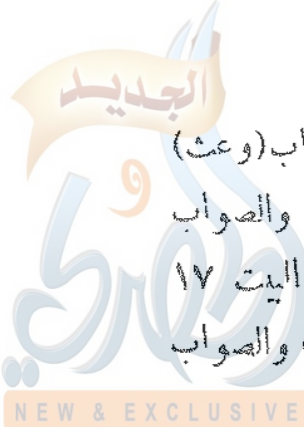
الباريسييه !!! فماذا نرجو من رجال يربون بناتهم هذه التربية وكيف نقول ان البنات ملومات على فساد أخلاقهن وأديهن؟ ولو أن ناظرة المدرسة السنية اطلمت على هذه الرقعة مع البنت لطردتها من المدرسة وأتت لها بالاطلاع عليها.  
ولايتوهن أحد أن هذا الشيخ الجاهل هو من شيوخ المسلم أوشيوخ الطريق.  
كلا أنه من المتعممين الذين ليس لهم لقب أفندي أو بيك

﴿ ابن الرشيد وابن سعود في نجد ﴾

قد استولى ابن سعود على القسم الجنوبي من بلاد نجد الى حدود بلاد اليمن فصار في يده نصف البلاد أو يزيد ، والباقي في يد ابن الرشيد ، ويود جميع الاهالي لو خلصت الامارة لابن سعود لأنه أعلم وأرحم، وابن الرشيد أجهل وأظلم، والاميران الآن في شبه هدنة لان ابن الرشيد يتوقع اعانة الدولة العلية وامدادها اياه بالرجال والسلاح وهذا دليل على معرفته بعجزه . وعندنا ان الحكمة في عدم دخول الدولة العلية في هذا الامر بالفعل لأن عاقبة ذلك وخيمة جداً . والخطر متوقع على كلا الحالتين — اذا خلصت الامارة لابن سعود من غير أن تخاربه الدولة فإنه يكون موالياها وخاضعا لامرها كابن الرشيد أو أشد ولاء وخضوعاً . واذا غاب على أمر البلاد ومد مناهاة من الدولة فيحتمى أن يسقط نفوذها من قاب البلاد العربية وهذا احد الخطرين . وأما الخطر الثاني وهو أشدها فهو ما يتنظر من احتماء ابن سعود بدولة انكلترا اذا جردت الدولة عايه جيشا لا قبل له به . ولو لا أن وصل الى آذاننا شيء من الهمسات الخفية التي يتناجى بها سعاة الفتن في بلاد العرب لما كان يخطر في بالنا أن يكون شيء من هذا وقانا الله وبلاد العرب من عواقب هذه الفتن  
لهذا قلنا ان من الحكمة أن لاتسيء الدولة العلية أحد الخصمين بالفعل ولا شك ان العاقبة الحسنة تكون لها اذا اتقت هذين الخطرين ( والعاقبة للمتقين )



( غلط في الجزء ١٥ ) في السطر ٦ من الصفحة ٣٧٥ كلمة دعوت والصواب (وعت)  
وهي الأرض التي تعيب فيها الأقدام لئيبها . وفي السطر ١٣ منها يجبل والصواب ( مجبل ) . وفي س ٢٥ من ص ٣٨٥ كلمة من وجهها ( في ) وفي البيت ١٧ من ص ٣٩٢ ( دبنارا ) والصواب ( بنارا ) وفي البيت ٢٢ منها ( ينارا ) والصواب ( دبنارا ) فليصحح



فبشر عبادي الذين يستمعون القول  
فيتعون أحسنه أولئك الذين هداهم  
الله وأولئك هم أولو الألباب

# المعراج

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت  
الحكمة فقد أتى خيراً كثيراً وما  
يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

( قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر في يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ - ١٩ ستمبر ( ايلول ) سنة ١٩٠٢ )

— الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية —

﴿ وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم . والاستاذ العظيم ﴾

﴿ طبيعة الاسلام مع العلم بحكم أصوله ﴾

( تمهيد الاصل الاول ) للاسلام في الحقيقة دعوتان -- دعوة الى الاعتقاد

بوجود الله وتوحيده ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

فأما الدعوة الاولى فلم يعول فيها الا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه الى

النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ما حواه الكون

من النظام والترتيب واماقد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى أن

لا يكون صانعاً واجب الوجود عالماً حكماً قادراً وان ذلك الصانع واحد

لوحة النظام في الاكوان . وأطلق للعقل البشري ان يجري في سبيله

الذي سنه له الفطرة بدون تقييد فنهه الى أن خلق السموات والأرض

واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح على وجه يتيسر للبشر أن يستعملها

في تسخير الفلك لمنافعه وإرسال تلك الرياح لثير السحاب فينزل من السحاب ماء فتحي به الأرض بعد موتها وتنبت ماشاء الله من النبات والشجر مما فيه رزق الحي وحفاظ حياته - كل من آيات الله عليه أن يتدبر فيها ليصل منها الى معرفته

ثم قد يزيد تنبيهاً بذكر أصل للكون يمكن الوصول الى شيء منه بالبحث في عوالمه فيذكر ما كان عليه الأمر في أول خلقه السموات والأرض كما جاء في آية: «أولم ير الذين كفروا ان السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» ونحوها من الآيات . وهو إطلاق لعنان العقل ليجري شوطه الذي قدر له في طريق الوصول الى ما كانت عليه الأكوان . وقد يزيد التنبيه تأثيراً في إيقاظ العقل ما يؤيد ذلك من السنة كما جاء في خبر من سأل النبي صلى الله عليه وآله : أين كان ربنا قبل السموات والأرض فاجابه عليه السلام : « كان في عمامة تحته هواء »<sup>(١)</sup> والعماء عندهم السحاب . فترى القرآن في مثل هذه المسألة الكبرى لا يقيد العقل بكتاب ، ولا يقف به عند باب ، ولا يطالبه فيه بحساب ؛ فليقرأ القارئ القرآن يعني عن سرد الآيات الداعية الى النظر في آيات الكون - « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » . « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » - « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم واللوانكم » وأمثال ذلك ، فلو أردت سرد جميعها لأتيت

(١) رواه ابن جرير والطبراني وابو الشيخ في العظمة عن أبي رزين السائل (رض) NEW & EX

بأكثر من ثلث القرآن بل من نصفه في مقالي هذا .

يذكر القرآن إجمالاً من آثار الله في الأكوان تحريكاتاً للمبرة؛ وتذكيراً  
بالنعمة؛ وحفزاً للفكرة؛ لا تقريراً لقواعد الطبيعة؛ ولا إزاماً باعتقاد  
خاص بالخلقة؛ وهو في الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذا السبيل،  
انظر كيف يقرع بالدليل، « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » « ما اتخذ الله  
من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلاً بعضهم  
على بعضٍ سبحانه الله عما يصفون »

فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدايته لا يعتمد  
على شيء سوى الدليل العقلي؛ والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه  
القطري، ( وهو منسبه بالنظام الطبيعي ) فلا يدهشك بخارق للمادة،  
ولا يفشي بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية،  
ولا يقطع حركة فكرك بصيحة آلهية، وقد اتفق المسلمون الاقلياً ممن  
لا يعتد برأيه فيهم على ان الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وأنه  
لا يمكن الإيمان بالرسول الا بعد الإيمان بالله . فلا يصح ان يؤخذ الإيمان  
بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة<sup>(١)</sup> فانه لا يعقل ان تؤمن  
بكتاب أنزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز ان ينزل  
كتاباً أو يرسل رسولا .

وقالوا كذلك ان أول واجب يلزم المكلف أن يأتي به هو النظر

١٥ المنار - أي لا يؤخذ منها بالتسليم بناءً على أنها من الله ولا ينافي هذا أن يؤخذ  
الإيمان بالله من كلام الرسل وكتبهم بما يقيمون من البرهان على ذلك لا بمجرد التسليم  
ولا باعتبار أنهم رسل الله ثم بعد الإيمان بالله وبهم يكمل إيمانه بالأخذ عنهم

والفكر لتحصيل الاعتقاد بالله لينقل منه الى تحصيل الايمان بالرسول  
وما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة

وأما الدعوة الثانية فهي التي يحتاج بها الاسلام بخارق العادة وما أدراك

ماهو الخارق للعادة الذي يعتمد عليه الاسلام ، في دعوته الى التصديق

برسالة النبي عليه السلام ، هذا الخارق للعادة هو الذي تواتر خبره ، ولم

ينقطع أثره ، هذا هو الدليل وحده وما عدا ذلك مما ورد في الأخبار سواء

صح سندها او اشهر او ضعف او وهي فليس مما يوجب القطع عند

المسلمين . فاذا أورد في مقام الاستدلال فهو على سبيل تقوية العقدة لمن

حصل أصله ، وفضل من التأكيد لمن سلمه من أهله . ذلك الخارق الذي تواتر

الممول عليه في الاستدلال لتحصيل اليقين هو القرآن وحده . والدليل

على أنه معجزة خارقة للعادة تدل على ان موحيه هو الله وحده وليس من

اختراع البشر هو انه جاء على لسان نبي لم يتعلم الكتاب ولا يحارس العلوم

وقد نزل على وتيرة واحدة هادياً للضال مقوماً للمسوق كائناً بنظام عام

لحياة من يهتدي به من الأمم منذ أقدم من خبر ان كتابه رجعوا

كانوا أشرفوا عليه . وهو مع ذلك من بلاغة الأساليب ما لا يرتقى

اليه كلام سواه حتى لقد دعي الفصحاء والباقاء ان يعارضوه في ذلك مثله

فمجزوا وجاءوا الى الجاهل يانسيوف وسنك الله واضطربوا للزمين به

الى ان الجاهل الى الدفاع عن دينهم وكان من أمرهم ما كانت من تمام

الحق على الباطل وظهور شمس الاسلام تمتد ظلها بأضوائها ، وتنتشر

أنوارها في جوائها ،

وهذا الخارق قد دعا الناس الى النظر فيه بتوضيح وطولبوا بان يأتوا

في نظرهم على آخر ما انتهى اليه قوتهم فأما وجدوا طريقاً لا يبطال إعجازه أو كونه لا يصلح دليلاً على المدعى فعليهم ان يأتوا به . قال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » وقال : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وقال غير ذلك مما هو مطالبة بمطالبة الحججة بالحجة ولم يطالبهم بمجرد التسليم على وغم من العقل

معجزة القرآن جامع من القول والعلم ، وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم ، فهي معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له حق النظر في أحنائها ، ونشر ما انطوى في أثنائها ، وله منها حظه الذي لا ينتقض . فهي معجزة أعجزت كل طوق ان يأتي بمثلا ، ولكنها دعت كل قدرة ان تتناول ما نشأ منها ، أما معجزة موت حي بلا سبب معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة من بدن فهي مما ينقطع عند العقل . ويجوز لغيرهم ، وإنما يأتي بها الله على يد رسله لا إسكات أقوام غلبهم الوهم ، ولم تضيء عقولهم بنور العلم ، وهكذا يقيم الله بقدرته من الآيات ، للأمم على حسب الاستعدادات ،<sup>(١)</sup>

ثم ان الاسلام لم يتخذ من خوارق العادات دليلاً على الحق لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم ترد فيه كلمة واحدة تشير الى ان الداخين اليه يمكنهم ان يغيروا شيئاً من سنة الله في الخليقة ولا حاجة الى بيان ذلك فهو أشهر من ان يحتاج الى تعريف

(١) راجع الصفحة ٣٧١ من مجلد المنار الرابع وانظر الكلام في الآيات الكونية

الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل الإيمان

فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي . والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح فقد أقامك معه على سبيل الحجّة وقاضاك الى العقل ومن قاضاك الى حاكم فقد أذعن الى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك ان يجور أو يثور عليه .

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة إن الذي يستقصي جهده في الوصول الى الحق ثم لم يصل اليه ومات طالباً غير واقف عند الظن فهو ناج . فأي سعة لا ينظر اليها الحرج أكمل من هذه السعة

الأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض

أسرع اليك بذكر أصل يتبع هذا الأصل المتقدم قبل أن أنتقل الى غيره : اتفق أهل الملة الاسلامية الا قليلا ممن لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وبقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه ، وتفويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل . وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل ، وأزيلت من سبيله جميع العقبات ، واتسع له المجال الى غير جديد حد ، فإذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب الى ما هو أبعد من هذا ؛ وأي فضاء يسع أهل النظر وطلاب العلوم ان لم يسهم هذا الفضاء ؛ ان لم يكن في هذا متسع لهم فلا وسعهم أرض بجبالها ووهادها ، ولا سماه بأجرامها وأبعادها ،

أصل ثالث من أصول الأحكام في الإسلام البعد عن التكفير ٤٤٧

أصل ثالث من أصول الأحكام في الإسلام البعد عن التكفير

هلاً ذهبنا من هذين الأصلين إلى ما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم وهو: إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر. فهل رأيت تسامحاً مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحق بحيث يقول قولاً لا يحتمل الإيمان من وجه واحد من مئة وجه؟ إذا بلغ به الحق هذا المبلغ كان الأجدر به أن يذوق حكم محكمة التفتيش البابوية ويؤخذ بيديه ورجليه فيلقى في النار.

أصل رابع في الإسلام الاعتبار بسنن الله في الخلق

يتبع ذلك الأصل الأول في الاعتقاد - وهو أن لا يعول بعد الانبياء في الدعوة إلى الحق على غير الدليل وأن لا ينظر إلى العجائب والغرائب وخوارق العادات - أصل آخر وضع لتقويم ملكات الأنفس القائمة على طريق الإسلام وإصلاح أعمالها في معاشها ومعادها. ذلك هو أصل العبرة بسنة الله فيمن مضى ومن حضر من البشر وفي آثار سيرهم فيهم. فما جاء في الكتاب العزيز مقررًا لهذا الأصل « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ - سَنَةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلِن تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا - فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ وَلَئِن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلِن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا - أُولَٰئِكَ يَنْظُرُونَ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الخ

في هذا يصرح الكتاب بأن الله في الأمم والأحوال سننًا لا تتبدل

الجديد

والجديد

NEW & EXCLUSIVE



والسنن الطرائق الثابتة التي يجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار وهي التي تسمى شرائع أو نوااميس ويغير عنها قوم بالتوائين . ما لنا ولا اختلاف البارات . الذي ينادي به الكتاب ان نظام الجحيمية البشرية وما يحدث فيها هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل وتنبى من يطلب السعادة في هذا الاجتماع أن ينظر في أصول هذا النظام حتى يرد إليها أعماله ويبنى عليها سيرته وما يأخذ به نفسه . فإن غفل عن ذلك غافل فلا ينتظرن الا الشقاء وان ارتفع الى الصالحين نسبه ، أو اتصل بالمقربين سبيه ، فهما بحث الناظر وفكر ، وكشف وقرّر ، وأتى لنا باحكام تلك السنن ، فهو يجري مع طبيعة الدين ، وطبيعة الدين لا تتجاف عنه ، ولا تنفر منه ، فلم لا يعظم تسامحها معه ؟

جاء الاسلام لمحو الوثنية عربية كانت أو يونانية أو رومانية أو غيرها في أي لباس وجدت ، وفي أي صورة ظهرت ؛ وتحت أي اسم عرفت ؛ ولكن كتابه عربي والقرآن لغة أولئك الوثنيين ، أعدائه الاقربين ، وفهم معناه . وموقوف على معرفة اوضاع اللسان ولا تعرف أوضاعه حتى تعرف مواضع استعمال كنه وأساليه ، وإن يكون ذلك الا بحفظه . النطق به العرب من منظوم ومشور وفيه من آدابهم وعاداتهم واعتقاداتهم ما يزيد عند الناظر في كلامهم صورة كاملة من جاهليتهم وما فيها من الوثنية وأطوارها . هكذا صنع المسلمون الأولون - ركبوا الاسفار ، وأنفقوا الاعمار ، وبنوا الدرهم والدينار ، في جمع كلام العرب وحفظه وتدوينه وتفسيره توسلاً بذلك الى فهم كتابهم المنزل فكانوا ينادون ذلك ضرورياً من ضروريات العبادة ؛ يرجون من الله فيه حسن الثوبة ، فكان من طبيعة الدين أن لا يحقر العلم الدين الذي ولد هو فيه . بل قد يكون من الدين علم ما ليس ، منه متى حسنت النية

في تناوله . وهذا باب من التسامح لا يقدر سمته الا أهل العلم به . أما المسيحيون الاولون فقد هجروا لسان المسيح عليه السلام سريانياً كان او عبرانياً وكتبوا الانجيل باللغة اليونانية ولم يكتب في العبرية الا انجيل متى فيما يقال . الاتري أن اسم الانجيل نفسه يوناني؟ كل ذلك كراهة لليهود الذين كان ينطق المسيح بلسانهم ويعظمهم بلغتهم . وتخرج من النظر في دواوين آدابهم ، وما توارثوا من عاداتهم

الأصل الرابع للاسلام قلب السلطة الدينية ﴿١﴾

أصل من أصول الاسلام انتقل اليه وما أجله من أصل -- قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها . هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحاثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله أسم ولا رسم . لم يدع الاسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه ( علي ان الرسول عليه السلام كان مبلغاً ومذكراً لا مهيناً ومسيطرأ . قال تعالى « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ » ) ولم يجعل لأحد من أهله أن يحل ولا أن يربط لا في الارض ولا في السماء . بل الايمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ، ويرفع عنه كل رق الا العبودية لله وحده ، وايس لمسلم معها علاكمه في الاسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد . قال تعالى في وصف الناجين : « وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » وقال : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ »

(١) هذا الأصل هو ضد الأصل الثاني من أصول التصرانية ( راجع ص ٤١٤ )

«فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين  
 ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» فالمسلمون بتناصحون ثم  
 هم يقيمون أمة تدعو إلى الخير وهم المراقبون عليها يردونها إلى السبيل السوي  
 إذا انحرفت عنه. وتلك الأمة ليس لها فيهم إلا الدعوة والتذكير، والإنذار  
 والتحذير، ولا يجوز لها ولا لأحد من الناس أن يتبع عورة أحد، ولا يسوغ  
 لقوي ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد، وليس يجب على مسلم أن  
 يأخذ عقيدته أو يتلقى أصول ما يعمل به عن أحد إلا عن كتاب الله وسنة رسوله  
 صلى الله عليه وسلم. لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله  
 من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف. وإنما يجب عليه  
 قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله لفهم كتواعد اللغة العربية وآدابها  
 وأساليبها وأحوال العرب خاصة في زمان البعثة وما كان الناس عليه زمن النبي  
 صلى الله عليه وسلم وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي وشي من  
 الناسخ والمنسوخ من الآثار. فإن لم تسمح له حاله بالوصول إلى ما يعتد  
 لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما.  
 وله بل عليه أن يطالب المحيب بالدليل على ما يجب به سواء كان السؤال في  
 أمر الاعتقاد أو في حكم عمل من الأعمال. فليس في الاسلام ما يسمى عند  
 قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه

السلطان في الاسلام

لكن الاسلام دين وشرع فقد وضع حدوداً ورسم حقوقاً. وليس  
 كل معتقد في ظاهر أمره بحكم يجري عليه في عمله. فقد يئلب الهوى  
 وتحكم الشهوة. فينمط الحق. أو يتعدى المتعدي الحد. فلا تكمل الحكمة

الجديد

و  
 شبكة  
 الألوكة

NEW & EXCLUSIVE

من تشريع الأحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود . وتنفيذ حكم القاضي بالحق . وصون نظام الجماعة . وتلك القوة لا يجوز ان تكون فوضى في عدد كثير فلا بد ان تكون في واحد وهو السلطان أو الخليفة الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم ، ولا هو مهبط الوحي ، ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة . نعم شرط فيه أن يكون مجتهداً أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها مما تقدم ذكره بحيث ييسر له ان يفهم من الكتاب والسنة ما يحتاج اليه من الأحكام حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل . والصحيح والفساد . ويسهل عليه إقامة العدل الذي يطالبه به الدين والأمة معاً .

هو على هذا — لا يخصه الدين في فهم الكتاب والعلم بالأحكام بزية، ولا يرتفع به الى منزلة ، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء ، إنما يتفاضلون بصفاء العقل ، وكثرة الاصابة في الحكم ،<sup>(١)</sup> ثم هو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة ، والمسلمون له بالمرصاد ، فاذا انحرف عن النهج أقاموه عليه ، واذا اعوج قوّموه بالنصيحة والإيذار اليه ،<sup>(٢)</sup> « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »<sup>(٣)</sup> فاذا فارق الكتاب والسنة في عمله ، وجب عليهم ان يستبدلوا به غيره ، ما لم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة

(١) المنار — من شواهد ذلك ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء الذين قصروا عنهم في الفهم والعلم . ألم يأتك نبأ الامام مالك مع الخليفة هرون الرشيد ( رحمهما الله ) وكيف أنزل الامام الخليفة عن المنصة وأقعده مع العامة عند القاء الدرس لأنه في رتبة المستفيد (٢) من شواهد ذلك قول الخليفة الأول رضى الله عنه في خطبته ( وان زغت قوموني ) راجع ٧٣٤ من مجلد المنار الرابع (٣) حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما ( راجع ٧٣٢ من مجلد المنار الرابع )

فيه . (١) فالأمة أو نائب الأمة هو الذي ينسب إليه ، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي التي تخضعه متى رأت ذلك من مصلحتها ، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه .

ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج ( تيوكراتيك ) أي سلطان الهي . فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الأثرة بالتشريع ، وله في رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة بل بمقتضى الأيمان فليس للمؤمن مادام مؤمناً أن يخالفه وان اعتقد انه عدو لدين الله ، وشهدت عيناه من أعماله مالا ينطبق على ما يعرفه من شرائعه ، لأن عمل صاحب صاحب السلطان الديني وقوله في أي مظهر ظهر اهودين وشرع . هكذا كانت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى . ولا تزال الكنيسة تدعي الحق في هذه السلطة الى اليوم كما سبقت الاشارة اليه

كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والأعمال فيما هو من معاملة العبد لربه . تشرع وتنسخ ما تشاء ، وتراقب وتحاسب كما تشاء ، وتحرم وتمطي كما تريد ، وخول السلطة المدنية حق التشريع في معاملات الناس بعضهم لبعض . وحق السيطرة على ما يحفظ نظام اجتماعهم ، في معاشهم لان في معادهم ، وعدوا هذا الفصل منبعا للخير الأعم عندهم . ثم هم يهيمون فيما يرمون به الاسلام من انه يحتم قرن السلطين في شخص واحد .

(١) مثال ذلك ان يكون له عصبية أقوى من الأمة يخشى ان ييدها بها .

المفاسد مقدم على جلب المصالح .

ويظنون ان معنى ذلك في رأي المسلم ان السلطان هو مقرر الدين وهو واضح أحكامه وهو منفذها والايان آله في يده يتصرف بها في القلوب بالإخضاع ، وفي العقول بالإقناع ، وما العقل والوجدان عنده الامتاع ، وينون على ذلك ان المسلم مستعبد لسلطانه بدينه . وقد عهدوا ان سلطان الدين عندهم كان يحارب العلم ، ويحمي حقيقة الجهل ، فلا يقيس للدين الاسلامي ان يأخذ بالتساعح مع العلم مادام من أصوله أن إقامة السلطان واجبة بمقتضى الدين . وقد تبين لك ان هذا كله خطأ محض وبُعد عن فهم معنى ذلك الأصل من أصول الاسلام . وعلمت أن ليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعدة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر؛ وهي سلطة خوفاً لله لا دني المسلمين يقرع بها أنف أعلام، كما خوفاً لا اعلام يتناول بهامن أدنام ، ومن هنا تعلم « الجامعة » ان مسألة السلطان في دين الاسلام ليست مما يضيق به صدره ، وتخرج به نفسه عن احتمال العلم ، وقد تقدم مايشير الى ما صنع الخلفاء العباسيون والأمويون الأندلسيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء . وربما أتينا على شيء آخر منه فيما بعد يقولون : ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للمقتضى أو المفتي أو شيخ الاسلام . وأقول : ان الاسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على المقائد وتقرير الأحكام . وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قرررها الشرع الاسلامي . ولا يسوغ لواحد منهم ان يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه أو ينازعه في طريق نظره

الأصل الخامس للإسلام حماية الدعوة لمنع الفتنة عن المسلمين

قالوا : إن الدين الاسلامي دين جهادي شرع فيه القتال ولم يكن

شرع في الدين المسيحي ففي طبيعة الدين روح الشدة على من يخالفه وليس فيها ذلك الصبر والاحتمال اللذان تقضي بهما شريعة المسألة وهي الشريعة التي وردت في كثير من الوصايا المسيحية « من ضربك على خدك الايسر فادر له خدك الأيمن من سخرك ميلا فسر معه ميلين » ونحو ذلك . حتى لقد طلبت فيها محبة الاعداء وإن كانت محبة العدو مما لا يدخل تحت الاختيار بل ولا محبة الصديق وإنما الاختياري العدل بين الاعداء والاولياء . لكن في ملكوت الله كل شيء مستطاع ولا شيء فيه بمستحيل . قلنا : لكن انظروا هل دفع الشر بالشر عند القدرة عليه وعند عدم التمكن من سواه خاص بالدين الاسلامي أو هو في طبيعة كل قادر يُعذِرُ الى خصمه ؟ . ليس القتل في طبيعة الاسلام بل في طبيعته العفو والمسامحة : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » ولكن القتال فيه لردّ اعتداء المعتدين على الحق وأهله الى أن يأمن شرهم ويضمن السلامة من غوائلهم . ولم يكن ذلك للإكراه على الدين ولا للانتقام من مخالفيه . ولهذا لا تسع في تاريخ الفتح الاسلامية ، ما تسمعه في الحروب المسيحية ، عند ما اقتدر أصحاب « شريعة المسألة » على محاربة غيرهم من قتل الشيوخ والنساء والاطفال .

لم تقع حرب إسلامية بقصد الإبادة كما وقع كثير من الحروب بهذا القصد بأيدي المسيحيين . وإنما كان الصبر والمسألة دينا عندما كانت القدرة والقوة تعوزان الدين . وغاية ما يقال إن العناية الالهية منحت الاسلام في الزمن القصير من القوة على مدافعة أعدائه ما لم تمنحه لغيره في الزمن الطويل . فتيسر له في شيبته ما لم يتيسر لغيره الا في كهولته أو شيخوخته .

## مقابلة بين الاسلام الحربي والمسيحية السلمية

الاسلام الحربي كان يكتفي من الفتح بادخال الارض المفتوحة تحت سلطانه ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين يؤدون مايجب عليهم في اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد . وإنما يكلفهم بجزية يدفعونها لتكون عوناً على صيانتهم والحفاظة على أمنهم في ديارهم وهم في عقائدهم ومبادئهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار لا يضيقون في عمل ولا يضامون في معاملة . خلفاء المسلمين كانوا يوصون قوادهم باحترام المبادئ الذين انقطعوا عن العامة في الصوامع والاديار لمجرد العبادة كما كانوا يوصونهم باحترام دماء النساء والاطفال ، وكل من لم يعن على القتال . جاءت السنة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة وبتقرير ملهم من الحقوق على المسلمين ( لهم مالنا وعليهم ما علينا ) و ( من آذى ذمياً فليس مناً ) واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الاسلام . ولست أبالي اذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الاحكام ، عند ما بدأ الضعف في الاسلام ، - وضيق الصدر من طبع الضعيف - فذلك مما لا يلصق بطبيعته ، ولا يخلط بطيبته ،

المسيحية السلمية كانت ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانها تراقب أعمال أهله وتخصصهم دون الناس بضروب من المعاملة لا يمتثلها الصبر مهما عظم . حتى اذا تمت لها القدرة على طردهم بعد العجز عن إخراجهم من دينهم وتعميدهم أجلتهم عن ديارهم ، وغسلت الديار من آثارهم ، كما حصل ويحصل في كل أرض استولت عليها أمة مسيحية استيلاء حقيقياً . لا يمنع غير المسيحي من تعدي المسيحي الا كثرة العدد ، أو شدة العصد ، كما شاهد التاريخ وكما يشهد كتابوه . ذلك كله لأنه ما جاء ليلقي



اسلاماً بل سيفاً ولأنه جاء ليفرق بين البنت وأمها والابن وأبيه<sup>(١)</sup> والاسلام يقول كتابه في شأن الوالدين: « وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَىَّ » فهو في اشتداده على المهتدين لأمنه لا يقضي بالفرقة بين أب وابن ولا بين أم وبنت . بل يأمر الأولاد المؤمنين ان يصحبوا آباءهم المشركين بالمعروف في الدنيا مع محافظتهم على دينهم

(١) تقدم نص إنجيل متى في هذا . ومثله قول إنجيل لوقا ١٥ - ٢٥ و ٢٦ ( وقال لهم يسوع ) ان كان احد يأتي الي ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً ) . وفي الباب ١٩ من هذا الانجيل مانصه ( ٢٧ ) أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم تأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي ) . وأما أسفار التوراة فقد جاء فيها نحو ذلك في القسوة مع الاهلين الخائفين ومع سائر المحاربين . قال في ١٣ : ٦ - ٩ من تثنية الاشتراع ( وإذا اغواك رآ أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض الى أقصاها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا قتله : الخ )

وفي سفر التثنية أيضاً ( ٢٥ : ١٠ - ١٦ ) مانصه ( حين تقرب من مدينة لتجاريها الى الصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك لا تسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب آهلك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فغنمها لنفسك وتأكل غنيمته أعدائك الذي أعطاك الرب آهلك . وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جداً منك التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب آهلك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما )

فانت ترى الاسلام من جهة يكتفي من الأمم والطوائف التي يناب على أرضها بشيء من المال أقل مما كانوا يؤدون من قبل تغلبه عليهم وبأن يعيشوا في هدوء لا يعكرون معه صناديق الدولة ولا يخلون بنظام السيادة العامة. ثم يرخي لهم بعد ذلك عنان الاختيار في شؤونهم الخاصة بهم لا رقيب عليهم فيها الا ضمائرهم. ومن جهة أخرى ينهى أفراد المؤمنين عن مقاطعة ذوي قرباهم من المشركين ويطلبهم بحسن معاملتهم. وفي طبيعته ان يكل أمر الناس في سرائرهم الى ربهم، وفي طبيعته ان يجير من لا يعتقد عقيدته، ويحمي من لا يتبع سنته، وان كان في عي من الجمالة؛ وخبل من الضلالة؛ أفتري انه يصعب عليه بعد ذلك ان يحتمل العلم والملاء؛ ويضيق به حمله عن صنع الجميل بالفضل والفضلاء؛ ممن ينفق عمره في تقرير حقيقة؛ أو كشف غامض أو تبين طريقة.؛ كلاثم كلا. فمن بحث وثقب، وسبر وقر، أو شق الأرض، أو ارتقى الى السماء، فهو في أمن من ان يعرض الاسلام له في شيء من عمله الا أن يحدث شغباً، أو يفسد أدباً، فنصد ذلك تمتد يد الملك لرد كيد الكائد، وإصلاح الفاسد، بسماح من الدين

﴿الاصل السادس مودة المخالفين في العقيدة (١)﴾

المصامرة - أباح الاسلام للمسلم أن يتزوج الكناية نصرانية كانت أو يهودية وجعل من حقوق الزوجة الكناية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها، والقيام بفروض عبادتها، والذهاب الى كنيسها أو بيتها، وهي منه بمنزلة البعض من الكل، وألزم له من الظل، وصاحبه في العز

(١) هذا الاصل الاسلامي هو ضد الاصل السادس لتصرانية (راجع ص ٤١٨)

والذل ، والترحال والحل ، بهجة قلبه ، وريحانة نفسه ، وأميرة بيته ، وأم بناته وبنيه ، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه ، لم يفرق الدين في حقوق الزوجية بين الزوجة المسلمة والزوجة الكتائية . ولم تخرج الزوجة الكتائية باختلافها في العقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى : « وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » فلها حظها من المودة ، ونصيبتها من الرحمة ، وهي كما هي . وهو يسكن إليها كما تسكن إليه ، وهو لباس لها كما أنها لباس له ، أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ما عهد في طبيعة البشر . وما أجلى ما يظهر من ذلك بين الأولاد وأخوانهم ؛ وذوي القربى لو الدتهم ؛ أيعيب عنك ما يستحكم من ربط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح الذي لم يعهد عند من سبق ولا فيمن ساق من أهل الدين السابقين عليه <sup>(١)</sup> ولا يخفى على صحيح النظر ان تقرير التسامح على هذا الوجه في نشأة الدين مما يهود القلوب على الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربّه ؛ والعقيدة طور من أطوار القلوب ؛ يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب ؛ فهو

(١) المنار - يقول بعض النصارى: اذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتائية

ليعلم البشر التألف والتعاطف، مع النباين في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح للكتائي أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لأنهم أقوى منهن فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره ببغضها وببغض أولاده ووالديه اذا خالفوا عقيدته أن يتزوج بامرأة مخالفة . أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم

الذي يحاسب عليها؛ أما المخلوق فلا تطول يده إليها؛ وغاية ما يكون من العارف بالحق أن يذبه المافل؛ ويملم الجامل؛ وينصح للغاوي؛ ويرشد الضال؛ لا يكثر في ذلك نعمة العشير؛ ولا يسلك به مسالك التعسير؛ ولا يقطع أمل النصير، ولا يخالف سنة الوفاء؛ ولا يجيد عن شرائع الصدق في الولاء، ماذا ترى في الزوجة الكتابية لو كانت من أهل النظر العقلي وذهبت مذهباً يخالف مذهب زوجها؛ أفينقص ذلك من مودته لها؛ أو يضعف من شعور الرحمة التي أفاضها الله بينه وبينها، فإذا كان المسلم يتعود الاحتمال بل يتعود المحبة والنصرة لمن يخلفه في عقيدته؛ ودينه وملتته، ويألف مخالطته وعشرته؛ وولايته ونصرته؛ أتراه لا يحتتمل أن يرى بجواره من يعمل نظره في نظام الخليفة ليصل منه إلى اكتشاف سر أو تقرير أصل في علم أو قاعدة لصناعة وإن كان قد يخالف ظاهراً مما يبتعد؛ أو يميل إلى رأي غير الذي يجد؛ أفلا يسمع هذا ما يسمع المجاهر بالخلاف؛ وهو منه على ما رأيت من الائتلاف؟؟

لو ذهبت أعدائي في طبيعة الإسلام من عناصر وأركان كلها تؤلف مزاج الكرم؛ وتكون حقيقة المسامحة مع العلم؛ لأطلت على القارئ أكثر مما أطلت . ولهذا أرى من الواجب علي أن أختم القول بذكر أصل أشرت إليه ولا غنى لما نحن فيه عن ذكره

﴿الأصل السابع للإسلام الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة﴾ (١)

الصحة الحياة في الإسلام مقدمة على الدين، أو امر الحنيفية السمحة إن كانت

تختطف العبد الى ربه ، وتملاً قلبه من رهبه ، وتقم أملة من رغبه ، فهي مع ذلك لا تأخذه عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، ولا توجب عليه تقشف الزهادة ، ولا تجشمه في ترك الآذات مافوق المادة ،

صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل « بع ما أملك وأتبعني » ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله « الثالث والثالث كثير إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس »<sup>(١)</sup>

الرخص - فرض الصوم على المؤمنين لكن اذا خشي منه المرض أو زيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه بل قد يجب اذا غلب على الظن الضرر فيه . الوضوء والغسل من شروط الصحة للصلاة الا اذا خشي منه الضرر أو عرضت مشقة في تحصيل الماء . القيام مما لا تصح الصلاة الا به الا اذا أصابت المصلي مشقة فيه فيسقط ويصلي قاعداً . السعي الى الجمعة واجب الا اذا كان وحل غزير أو مطر كثير أو ما يوجب تيباً ومشقة فيسقط . وهكذا تجد القاعدة قد عمت : « صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان » فترى الدين قد راعى في أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح الزينة والطيبات - أباح الإسلام لأهله التجميل بأنواع الزينة والتوسع في التمتع بالمشترىات على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية ، والوقوف عند الحدرد

(١) المنار - يشير الكاتب الى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . كان سعد مريضاً في حجة الوداع فعاده النبي صلى الله عليه وسلم وكان عازماً على الصدقة بثاني ماله وفي رواية بماله كله فسأله النبي عما ترك لولده فقال هم أغنياء . وفي رواية الجماعة انه لم يكن له الابنت . وفي رواية أحمد والنسائي انه أمره أولابان يتصدق بالعشر . والحاصل انه ما زال يراجمه حتى رضي صلى الله عليه وسلم بالثلث وحرّم الزيادة بالحديث

الشرعية، والمحافظة على صفات الرجولية، جاء في الكتاب العزيز: « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (سورة الأعراف)

ثم عد الله النعيم والجمال والزينة من نعمه علينا التي يذكرنا بها فضله، ويهيج بها نفوسنا لذكره وشكره، كما قال: « وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْفَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ . وَالخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

ثم قال: « وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتسخر جوامينه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (سورة النحل).

الاقتصاد – ووضع قانوناً للانفاق وحفظ المال في قوله: « إن المبدرين

كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان أرباً كفوراً . ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً، (سورة الإسراء)

إهداء من شبكة الألوكة  
www.alukah.net  
النهي عن الغلو في الدين - وخشي على المؤمن أن يغلو في طلب الآخرة

فهلك دنياه وينسى نفسه منها فذكرنا بما قصه علينا أن الآخرة يمكن  
نيلها مع التمتع بنعم الله علينا في الدنيا إذ قال: « وابتغ فيما آتاك الله الدار  
الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ  
الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين »

فترى أن الإسلام لم يبخس الحواس حقها، كما أنه هياً الروح لبلوغ  
كمالها، فهو الذي جمع للإنسان أجزاء حقيقته واعتبره حيواناً ناطقاً لا  
جسمانياً صرفاً، ولا ملكوتياً بحتاً، جعله من أهل الدنيا كما هو من أهل  
الآخرة . استبقاه من أهل هذا العالم الجسداني، كما دعاه إلى أن يطلب  
مقامه الروحاني، ليس يكون بذلك وبما بينه في قوله: « هو الذي خلق  
لكم ما في الأرض جميعاً » قد أطلق القيد عن قواه، لتصل من رفاه الحياة  
(مع القصد) إلى منتهاه، والنفوس مطبوعة على التنافس قد غرز فيها حب  
التسابق فيما تعتقده خيراً، أو تجده لذيذاً أو تظنه نافماً

وليس في الفريزة الانسانية ان يقف بها الطالب عند حدٍ محدود،  
او ينتهي بها السعي الى غاية لا مطلع للارغبة وراءها، بل خصها الله بالمكنة  
من الرقي في أطوار الكمال من جميع وجوهه الى ما شاء الله ان ترقى  
بدون حدٍ معروف .

فاذا جمع سائق الانفس ومزجها، ومرشدها وهاديها، بين شاحدين  
شاحد التمتع بمتاع الحياة الدنيا، وشاحد الرغبة في النعيم الدائم في الآخرة،  
فقد جمع لها كل ما يسو بها عن الرضاء في الدنيا بالدون، وفي الآخرة

أهداء من شبكة الألوكة  
www.alukah.net  
لعذاب الهون ، قترى كل نفس تمضي مع استعدادها ، بشهامة فؤادها ،  
مضاه الزميع<sup>(١)</sup> لا تخشى العثرة بالوعيد ، ولا تقعد عن مطلبها قعدة  
الرعد يده<sup>(٢)</sup> فتطلب منافعها ، من هذا الكون الذي وُجدت فيه ووجد  
لها ، فتسير في مناكب الأرض ، ولا تكتفي عن الكل بالبعض ، وتبحث  
في تربتها ، ولا يقف بها ظاهرها عن باطنها ؛ ولا يحجبها ظهرها ؛ عن مديديها  
إلى ما في جوفها ، ولا تجدها ، ايصدُّها عن النظر في الهواء ، والبحث في  
الماء ، والاهتداء بنجوم السماء ، بعد معرفة مواقعها ، وحركاتها في مداراتها ،  
واستقامتها وانحرافها ، وظهورها وخنوسها ، وبالجملة فكل مستعدٍّ لوجه  
من وجوه النظر ، أو الولوج في باب من أبواب العلم ، ينطلق إلى حيث  
يلبغ به استعداده إما للنجاة من ضرورة ، وإما لاستتمام منفعة أو استكمال  
لذة ، لا يجد من نواهي الدين ما يصدّه عن مطلب ، ولا ما يكف يده  
عن تناول رغبة ، أين هذا من ذلك الذي لا يرى الخلاص إلا في مجافاة  
هذا العالم ولذائذه ويجد أن الغنى والثروة من الحجب التي لا تحرق تحول  
بينه وبين ملكوت السموات

كيف يتسنى للمسلم أن يشكر الله حق شكره ، إذا لم يضع العالم  
بأسره تحت نظر فكره ، لينفذ من ظاهره إلى سرّه ، ويقف على قوائمه  
وشرائمه ، ويستخدم كل ما يصلح لخدمته في توفير منافعه ، كيف يشكر  
الله إذا توانى في ذلك وقد ارشده الله في كتابه وبسنة نبيه إلى أن عالمه إنما خلق  
لأجله ، وقد وعده الله تحت تصرف عقله ، انظر إلى لطف الإشارة في الآية

(١) هو الخنزير القوي العزيمة يرمع على الأمر فيمضي فيه ولا يتفنى والحيد الرأي المقدم

(٢) الرعد يد الحيطان الكثير الارتعاد



المتقدمة « قل من حرم زينة الله » الخ حيث قال : « كذلك فصل الآيات لقوم يعلمون » فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله تعالى فيما يرفه به مميشتهم ، ويجعل به هياتهم ، ويجلي به زينتهم ؛

المسلمون مسوقون بنابل من دينهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد ؛ والعزة والمجد ؛ ولا يرضيهم من ذلك بما دون الغاية ؛ ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم ؛ فهم محفوزون أشد الحفز الى طلب العلم وتلمسه في كل مكان ، وتلقيه من أية شفة وأي لسان ، فاذا لاقاه المالم في أي سبيل ، أو عثروا به في أي جيل ، أو ظهر لهم من أي قبيل ، هشوا له وبشوا ، ونصبوا اليه وكمشوا<sup>(١)</sup> ، رشدوا به أو اصرم ، وعقدوا عليه خناصرهم ، ولا يباليون ما تكون عقيدته ، اذا نفتهم حكمته ، « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها »<sup>(٢)</sup> ألم يأتيهم عن ربهم : « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » ألم يسموا في وصفهم قوله : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » ذلك شأن المسلم مع العلم اذا كان مسلماً حقاً . وذلك ما تنجر إليه طبيعة دينه . وحديث اطلبوا العلم ولو بالصين<sup>(٣)</sup> ان كان في سنده

(١) لعل نصبوا من نصب السير وهو ان يسير طول يومه سيراً لينا . وكمش الرجل كان سريعاً ماضياً . وكمش كمشة شجع واسرع (٢) النار - حديث رواه

الترمذي عن أبي هريرة ، ورواه غيره بألفاظ أخرى والمعنى واحد . ومنه رواية موقوفة على ابن عمر رضي الله عنهما « خذ الحكمة ولا يضررك من أي وعاء خرجت » وفي

رواية عن علي كرم الله وجهه « الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق

(٣) رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الایمان والمدخل وابن عبد البر في العلم

والخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وغيرهم وله طرق كثيرة يقوي بعضها بعضها

لنظاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم مقال فسنقدم معناه متواتر فإنه سند القرآن نفسه  
فإن الله يفضل العلم وأهل العلم بدون قيد ولا تخصيص . فالمسلم مطالب بطلب  
العلم ولو في الصين ولم يكن في الصين مسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم  
لا شيء ينقلب عند النفس الانسانية لذته بنفسه وإن كان في أول أمره مطلوباً  
لغيره مثل العلم . تطلب العلم أولاً لحاجتك إليه في تقويم معيشة . أو ترفيه  
حال . أو دفاع عن نفس وملة . ثم لا تلبث إذا أوغلت فيه أن تجد اللذة في  
العلم نفسه فتصير اللذة بتحصيله والوصول إلى دقائقه غاية تقصد بنفسها .  
وتضمحل فيها كل غاية سواها . وعلة ذلك ظاهرة فإن العلم مسرح نظر  
العقل والمقل قوة من أفضل القوى الانسانية بل هي أفضلها على الحقيقة  
قد وضع لها العليم الحكيم لذته كما منح لكل قوة سواها نمياً ولذته . ولست  
في حاجة إلى تمديد لذته البصر أو السمع أو الشم أو الذوق أو اللمس فالحيوان  
يعرفها بله الانسان . وكلما عظم اختصاص القوة بالنوع عظمت لذته باستعمالها  
فيما وجهت له فيمكنك ان تستنتج من ذلك ان لا شيء عند الانسان الذم  
كشفي المجهول . وإحراز المعقول . وقد سمح الاسلام للمسلم ان يتمتع في  
هذه الحياة الدنيا بما يلذ له مع القصد والاعتدال . أفلا يكون من لذائذه  
ومتهمات نعيمه أن يسبح في مملكة العلم ليمتع عقله ، كما يسبح في بساط  
الأرض ليكسب رزقه ويقيت أهله ، على ان العلم كان من ضروريات . همیشه  
المسلم أو حاجياتها كما ذكرنا فإذا طفق يستنبط ماء للضرورة ، ويستجلب  
سناؤه للحاجة ، فلا يلبث أن يصير هو حاجة نفسه ، وشاغله عن حاجات  
حسه ، حتى يدخل مه في رسمه ، كما وقع لكثير من المسلمين . قال امام جليل  
من أئمتهم « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله » (له بقیة)

## باب التبريد والتعلم

السُّرَّة الثامنة صهر هبريرة از اسم (\*)

### ﴿ تجلي العلم في العمل ﴾

زرت بالأمس أنا وه اميل ه وأولا مسبك قصدير في بانزانس واقع على ضفاف خليج الجبل ولست أقضي العجب من منطف هذا الخليج الذي كأنه في عظامه وجماله صدر تيتيس (١) أحاطت به السكة الحديدية فجعلت له من شريطها قلادة • يوجد المسبك تجاه الخليج ويتألف بناؤه من أماكن قديمة تقوم على أعمدة من الخشب تغطها سُفُفٌ من البلاط الأسود لا يتردد الناظر إليها في أن يحسبها سقائف لانخفاضها وانفراجها للرياح من كل ناحية

رأينا في إحدى هذه السقائف أكواماً من تراب أسمر يسمى بمعدن الحجر جمعت فيها ووزعت على غير نظام وتتحصر أعمال المسبك في احالة هذا التراب القسطنطيني اللون ( كذا ) الى معدن يطلبه التجار كثيراً

كانت زيارتنا للمسبك في نحو الساعة التاسعة من المساء أي بعد غروب الشمس بزمن طويل في ليلة ظلماء كان يتخال ظلامها بصيص نار الافران التي بنيت بالآجر وجعل لكل منها باب من حديد في وسطه ثقب مستدير كأنه حدقة من نار

يصهر القصدير ويعدد مكابده مخناً مختلفة تجرد مما كان متمزجاً به من المواد المكدره لصفائه وهي الحصى والكبريت والنحاس فاذا تم ذلك جاء وقت صبه وهي الساعة المشهورة • يخرج هذا المعدن الثقيل الصافي من ثقب في أسفل الفرن وقد بلغ من الحرارة درجة اليأض ويسقط في خابية من الحديد المصبوب فيذكر الناظر ساعة باستدارة سطحه ولمعانه القمر في إحدى ليالي الصيف أبيض ساطعاً

اذا صب القصدير في الخابية آخر مرة ( ولا بد من اذابته أكثر من مرة ) ألقيت عليه أغصان من الشجر الأخضر خصوصاً أغصان التفاح فتفوره وتبيحه

••••• معرب من ( باب تربية اليافع ) من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم

(١) تيتيس جنية من جنيات أساطير اليونان

وويل حينئذ للعمال أو الناظرين الذين لا يبادرون بالابتعاد عنه ليتقوا عوادي هذا المعدن الغضبان. ذلك أن فقايق الهواء التي تنفصل منه ترتفع معها قطرات محرقة تسمع لها نشنشة تنبجس من كل ناحية انجاس الشرر من باقة نار الزينة

لاجرمان «اميل» ولولا لم يدركا السر الكيماوي في جميع هذه الاستحالات التي تصورت معدن الحجر قبل صيرورته قصديراً بل انهما ربما لم يحصل في ذنهما من مجموع ما حصل من الاعمال الامعى في غاية الابهام ولكن قد شاقهما من هذا المنظر جدته فانهما رجواني أن آخذها الى المسبك مرة أخرى

أرى أن القائمين على تربية الناشئين قد أفرطوا في التفريق بين العلم وبين ما يربطه بالصناعة من الروابط ومع كوني لا أنكر أن ما في المدارس من المعامل الكيماوية والمجموعات التعليمية والدروس العامة هو من المساعدات العظمى على التعام واقصد قصداً أكيداً أن أستعين به على تعليم ولدي في مستقبله تراني أفضل الآن أن اختلف به الى معهد آخر تمثل فيه امامه الاعمال ونراهى له الوقائع

زرنا معاً متحفاً من متاحف الدفائن الأثرية في بازانس وهي ليست كثيرة في بلاد كرنواي والكثير فيها انما هو المعادن المفيدة كالرصاص والقصدير والنحاس وغيرها من المعادن الحجرية الغريبة فلم يلفت ذهن «اميل» ما في خزائنه من قطع هذه الدفائن المرتبة الا قليلاً وأما دولوريس فأخص ما استرعى نظرها ما يوجد فيها من فلذ البلور وبعض الحجارة التي لو تناولتها يد الصناعة لصارت من مواد الزينة الجميلة

ثم أخذنا طريقنا بعد ذلك بأيام الى متحف كبير يمتد مكشوقاً على ضفاف المحيط بين جبال من الصوان بمجتها يد الانسان فكان مرآه في نظر الفلاحين أحسن من جميع متاحف الدنيا

ففرق عند الطفل بين أن يرى من وراء الزجاج معادن حجرية رقت في رواق ترتباً خالياً من دواعي التأثر وبين أن تمثل أمامه الصخور في وضعها الطبيعي ويشاهد الارضين وقد شاه وجهها وانقلبت ظهراً لبطن وكتل البلاط الاسود والرخام السماقي في جسامتها المريبة وقد تناوبها المصدع وبارود المدفع فأوسعها صدعا وأشبعها كسرا وقد هاج شوق «اميل» منظر أعمال النحت هيجاً شديداً فطفق يخاطب النحاتين ولا بدع فالانسان في سنه لا يستكف أن يخاطب كل من

يراه لأن قلبه حينئذ لا يكون قد أفسده الكبر وقد استفاد من محاورته معهم فلم تذهب عليه عبثاً

ان فقي ايقوسياً اسمه هوج ميلار صار من أشهر العلماء في بريطانيا العظمى ببركة تكسيره الاحجار ونحتها من منحت حجر رملي قديم واستولى استيلاء المالك على اقليم ذلك المنحت الحافل بالدقائق الآرية وأصبح اسمه كأنه علم له

ربما احتذى « اميل » مثال هذا العالم اذا زرنا ما اقليم ديقونشاير فاعتضد المطرقة وحمل التحاف فاني أراه مدفوعاً على ذلك بسائق الطبع لأنه يشتهي كغيره من أترابه أن يهجم على ما يلاقيه من العقبات فيدمره ويزيله ولأن الدقائق الآرية التي يستخلصها الانسان بنفسه من الصخرة أعلى في نظره كثيراً مما يجده منها صهياً في المتاحف ذلك لأن آثار الاجسام المضوية تكون غالباً من الاحتباء في باطن الحجر بحيث انه لا بد قبل استخلاصها من تمييزها منه بل ربما صح لي أن أقول انه لا بد من تخمين وجودها بما يبدو من تحت غطائها الجافى من سمة تدل عليها أو طرف من أطرافها ثم ان الصخرة تارة تكون صلبة فتقاوم منحات الناحت وتحملة وطوراً تكون هشة فتلاشى وتفتت وفي كلتا الحالتين يهدم الخرق والخطأ بنقرة واحدة عمل الدهر في قرون كاملة وما أكثر ما يتعلم الطفل في هذا الجهاد. نعم ان « اميل » سيخدع فيه غير مرة وسيتفق له أن يخسر لقطاته أو يعيبها على حين اعتقاده انه حصل عليها سالمة من كل نقص ولكن لاشي في هذا فان مثله من اليافعين اذا غلبته العقبات المادية وجد عليها وبمته ذلك على الانتقام لنفسه منها فلا يلبث أن يظفر بها

كأن مشاهدة المناحت واسطة ينتقل بها الذهن من علم طبقات الارض الى فن العمارة فسيذكر « اميل » اذا عرض له في طريقه ما في المدن من الابنية الفخيمة ان حجارها نحتت من قاع البحار القديمة واذا رأى المعابد والقصور فان نوع حجارها سيحضر في ذهنه الصخرة التي نحتت منها والمخلوقات المضوية القديمة التي صارت هذه الصخرة رسماً لها.

العلم الذي يحصله الانسان بمرق جبينه ربما لا يكون واسعاً ولكنه يكون متيناً واسعاً خذ لذلك مثلاً الزهرة التي تجنى من غور بعد اقتحام ما كان دونها من العقبات يكون لها في ذاكرة جانها آثار أقوى مما يكون لزهرة رآها بلا عناء مجهزة

محفوظة في إحدى صحف المجموعات النباتية. وما يجمعه المرأ بنفسه من الحمار والصدف على شاطئ البحر يدرب بصره على ادراك ما يميزه من صفاته الظاهرة أكثر مما يدربه على ذلك ما يوجد منه مرتباً ومغنوناً في رواق معد له فالبحت يكسب البصر واليد دربة ومرآة

أنا لأشك في ان التجارب الكيماوية والطبيعية مفيدة لمن منحوا الميل الى التعلم ولكني أرى أن عامة الاطفال قد يبدون من الارتياح الى العلم ومعولابه في الصناعة ومن الانفعال بما يرونه من آياته فيها أكثر مما يبدونه لمثل هذه التجارب وقلما يوجد معمل من المعامل الكبيرة الا وهو أيضاً مدرسة كبرى للعقل فما أبهر ما يرى فيه من قوى للطبيعة مقيدة ومطلقة و(كل) مؤلف من عجلات وأسنان تسحق الحجر سحقاً وتمضع الحديد مضعاً وتقطع الخشب قطعاً وآلاف مؤلفة من انباض البخار الذي يحرك جسم هذا الكل وانسان استبدل باعضائه هذه الاعضاء الصالية في كده وكده فحلت محله وجرت على مقتضى إرادته وقام هو عليها يلاحظ مجاهداتها العجيبة بعين قريرة ساكنة. نعم ان هذا المشهد لا يأخذ أول الامر الابصر اليافع ولكنه متى كان فيه شيء من الشوق الى العلم لا يلبث ان يسأل عن سبب هذه الحركات الاستقلالية وعمما للمواد بعضها على بعض من التأثير المتناوب وبالجملة عن سر الطرق التي تميل المادة الفطرية الى محاصيل صناعة

ليس أحقر الأشياء بأقلها دائماً في صنعه اثاره للشوق ولا ملاحظته بأقل جدوى في التعليم فعملية الكبريت والديوس والشمعة (كما بينه فاراداي (١) حق البيان) لها بعلمي الطبيعة والكيمياء تعلق يدركه كل واحد من الناس ويعرفه لأول نظرة أنا أعلم أن تحصيل عام عدة من الصناعات والاختصاص به يقتضي أن يعيش الانسان اضعاف عمره ولذلك لا أرجو مطلقاً أن «اميل» اذا رأى غيره يشتغل بحرفة يحيط خبراً بأسرار العمل فيها. على أن الشبان أقل حاجة الى الوقت من غيره فلو أن القاعين على التعليم احسنوا في توجيهه الى غايته ما شككت ابداً في ان الطفل الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره يتعلم في المعامل شيئاً كثيراً وجملة القول ان لدينا في جميع المدن الكبرى بل وفي القرى كثيراً من معاهد

(١) فاراداي عالم انكليزي من أشهر علماء الطبيعة اشتهر بتأليفه في الكهربية

ولد في سنة ١٧٩٤ ومات سنة ١٨٦٧

العمل التي لو اختلف الطفل اليها لأدرك بالعيان والحس بعض قوانين المادة وتعلم حب العامل وتمظيمه ولكنها اقل فائدة له من ذلك ملاحظة طرق الصناعة او الزراعة ان لم يباشر شيئاً من اعمالها بيديه وتلك مزية اخرى له قايت شمري هن يصح في نظر العقل ان تغفل هذه الينايع المتدفقة للعرفان وتجنس حقوقها من العناية وتكون دراسة الالفاظ هي موضوع الاهتمام والرعاية اه

## أنا وعلماء المسيحية

﴿ مثال من أمثلة تسامح الاسلام وضيق صدر المسيحية ﴾

تعرض صاحب مجلة الجامعة للكلام في علم العقائد الاسلامية وهو لاشك جاهل به لانه لو عرفه لكان مسلماً او لو كان مسامالعرفه فزعم ان علماء الكلام ( وهو العلم الذي وضع لاثبات العقائد وردّ الشبه عنها ) ينكرون ارتباط الاسباب بالمسيبات وان كان القرآن يثبتها . وتعرض للكلام في طبيعة الدينين الاسلامي والمسيحي فزعم ان طبيعة الاسلام تنافي العلم والحكمة دون طبيعة المسيحية ولذلك ارتقت العلوم في أوروبا وماتت في البلاد الاسلامية يعني ان طبيعة الاسلام حكمت على المسامين بالجهل والغباوة والبعد عن المدنية وتبيجة هذا اهم لا يرتقون الا اذا تركوا هذا الدين وصاروا نصارى «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبّع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى» وتعرض للكلام في تاريخ بعض حكماء الاسلام فاورد عنه ما يقتضي كفره وهو غير صحيح . كل هذا في جزء واحد من أجزاء مجلته وهو أعظم جناية جناها على قارئها من المسلمين لانه يشكك غير العالم الراسخ في دينه والشك في الدين كفر قامت قيامة من اطلع على هذا الجزء من أذكاء المسلمين وعدوا هذه المجلة أضر عليهم من المجلات النصرانية الدينية التي تطعن في الاسلام طعناً صريحاً لأن مجلة الجامعة تكلمهم بلسان العام المحبوب عندهم بطبيعة دينهم فيخشى أن يفتر الناقل بما فيها وتلك المجلات والجرائد تقابلهم بالمدون الظاهر فينفرون منها . وقد عام القراء ان المستأئين رجعوا اليها والى امام من أئمتنا راغبين في الرد ورأوا ان ذلك الامام كتب في بيان الحقيقة كتابة أثنى فيها على صاحب الجامعة وعلى مجلته على ما كان منه

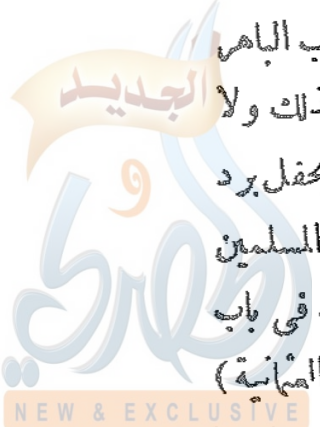
وان تلك الكتابة كانت مثال الأدب والكمال الذي يليق بسمة صدر الاسلام وتسامحه مع المخالفين ، وان كانوا طاعنين وقادحين ، والتمس له العذر على طعنه بالدين القيم وبأعظم علمائه وحكمائه

ورأوا أيضاً ان المنار قد حسن الظن فيه واعتذر عنه وبرأه من سوء القصد . ولكن صاحب الجامعة لم يرض بذلك كله وأثبت لنا في الجزء الاخير انه متمدد لذلك الطعن ومصرّ عليه . وقد قابلنا على الاعتذار عنه بالسب والشم

أما شتمه لنا فلاننا قلنا انه قال ما قال لأنه لا يعرف علم الكلام الاسلامي فنسبنا الى الجهل بمعتقد ديننا مكافأة لنا وقال ان تلك المقدمة تنتج هذه النتيجة. يعني ان « الفضيلة والحقيقة والضمير » التي يابهج بأسماها تقضي علينا ان نقول انه لا يعرف اللغة الفرنسية اذا هو قال اننا لا نعرفها . وأما شتمه للامام صاحب الرد فلم ينتحل له سبياً والسبب معروف وهو تأثير النصرانية في عدم التسامح وحملها على الشدة مع المخالفين بقدر الاستطاعة . وفي مصر الآن من الحرية ما يسمح للصغير ، ان يتسامى ويتساقى للطعن في الكبير ، وربما زين الغرور اصحابه ان كلامه الوضيع في الرفيع هي الطريقة المثلى للانتقال من الضعة الى الرفعة لذلك نرى أكثر المتطفلين على انشاء هذه الجرائد التي تبرز كل حين في مصر ثم تخفى كقفقاع الماء يستهلون جرائدهم بالنيل من الجرائد الغنية المنتشرة توها انها تهتم بالرد عليهم فيكونون سواء ، وينالون مانال أولئك من الشهرة والثراء . ولا نرضى هذه الخطة للجامعة وصاحبها

قال بعض الناس الذين رأوا الجامعة الاخيرة للامام : رأيت ما كان من صاحب الجامعة الذي أثبت عليه وعلى مجلته حتى رفعها الى أعلى منزلة للمجلات . . . فقال الامام : « لاختسار في حسن الأدب » ولم يزد على ذلك شيئاً

فهو يتوهم من الرصيف المحترم صاحب الجامعة أن صاحب هذا الأدب الباهر يتنازل تواضعاً الى تصحيح مقاله والعناية بارشاده بعد العلم بأنه لا قابلية فيه لذلك ولا استعداد ، ولا يعرف قيمة هذا الارشاد ، ام يتوهم ان أحد تلامذته يحفل برد سفسطة الجامعة وتحريفها الكلام لأجل تصحيح أغلاطها . اماما تفتأت به على المسلمين وتقول له على اعتقادهم فاننا نبين الحق فيه لا بصفة رد أو مناظرة بل نجمله في باب رد شبهات المسيحيين وحجج المسلمين لأن الجامعة التي كان اسمها ( الجامعة الميمنية ) ثم صار اسمها « الجامعة » فقط قد صارت « الجامعة النصرانية » ولا نعيب صاحبها





بخدمة الدين الذي ينتسب إليه ولكتنا ننصح له بالتروي والاعتدال  
« النار » مجلة ملية كما أنها علمية أدبية وهي مع ذلك لا تعرض لدين المخالفين الأردنا  
على ما يعتقدون به على الإسلام، والجامعة لا تعترف بأنها مجلة ملية مسيحية وهي مع ذلك  
تطمئن في الإسلام والمسلمين ابتداءً، وتفتخر الكلام في ذلك اقتحاراً، فهي في ظاهرها  
عامية أدبية صحيحة كالمقطف والهلل وفي باطنها دينية ملية كراية صهيون وبشار الإسلام  
والشرق ونحب لها ان يكون ظاهرها كباطنها،

قلنا ان صفار التلامذة لا يحفلون برد سفطة الجامعة التي سمتها رداً فان القيد  
الذي خلقته لتصحيح زعمها انكار المتكلمين للاسباب « وهو أنهم ينكرونها كما يفهم  
الفلاسفة ) لا يفيدها شيئاً . فان قولها الأول بالانكار كان مطابقاً وحكم المطلق ان  
يجري على اطلاقه كما هو معلوم . وقولها ان ابن رشد كفر الاشعرية وقال بضلالهم  
لأمر نسبها اليهم منها انكار الاسباب الضرورية . واستدلالها بذلك على ان المتكلمين  
ينكرون الاسباب كما يفهمها الفلاسفة هو حجة عليها لأن ابن رشد يرد على الاشعرية  
بذلك رداً دينياً— وهو من علماء الدين الراشدين— لأنه بنى عليه التكفير والتضليل  
والفلاسفة لا يسمون مخالفهم كافراً فكان ابن رشد يقول ان من انكر الاسباب فهو  
عند المسلمين كافر اوضالاً لأن من اصول الإسلام التي يشهد بها القرآن وتنطبق على  
سيرة السلف والخلف المهتمين « ان الاسباب مبروطة بالمسببات وان للكون سنناً ونواميس  
«طرذة» قال الله تعالى فيها « ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً »

وأما زعمه ان المعتزلة ليسوا من المتكلمين فكل طالب علم يعرف نقوله فيه على  
المسلمين . فالتكلمون منهم المعتزلة ومنهم الاشاعرة ومنهم الماتريدية . وكذلك الفقهاء  
منهم الحنفية والشافعية والمالكية . وكما اختلف هؤلاء في بعض المسائل الفقهية وكلهم فقهاء  
اختلف أولئك في المسائل الكلامية وكلهم متكلمون . والجميع مسلمون من اهل القبلة .  
ومن أعجب المزاعم زعمه ان الاعتقاد بوجود النواميس ( اي سنن الكون ) والاعتقاد

بتغيرها نقيضان لا يجتمعان . وهو يعلم ان الفلاسفة انفسهم يقولون بان مكان تفسير  
الناواميس بل يقولون بان التغير حدث ويحدث بالفعل وهو ما يعبرون عنه بفتلات  
الطبيعة . فان احتاج الفلاسفة الى تأويل هذه الفتلات فالمسلمون احوج لأن اساس  
هذه الفلسفة كلها قوله تعالى : « ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

وما يضحك صفار التلامذة استدلاله على معاداة الإسلام للعلم والعقل بكلمة

جارية على السنة العادة لا يعرف قائلها وهي « من تمنطق تزندق » ويفهمون منها ان من تعلم المنطق صار زنديقاً. هذه الكلمة لعامياً مجهول في شخصه وفي ملته ودينه والدليل على كونه عاميان معنى « تمنطق » لبس المنطقة وليس معناها انه تعلم المنطق خلافاً لما يوهمه المصباح ، يستدل بهذه الكلمة صاحب الجامعة الذي لا يراعي في قوله الا « الحقيقة والضمير » على ما ذكره ينسى او يتناسى انه لا يوجد طالب عام في المسلمين لم يقرأ المنطق وان الازهر لا يعطي شهادة العالمية الا لمن يؤدي الامتحان في علم المنطق ومثله جميع المدارس الاسلامية . ومن كلام حجة الاسلام « من لا يعرف المنطق فلا ثقة بعلمه » لا يبعد ان يكون صاحب الجامعة قد كتب ما ذكرنا عنه وهو يعتقد انه عموم . ويقرب ان يكون مقترراً بما اجاب به عن تخطيطه في تالخيص فلسفة ابن رشد لأن سنده في هذا الجواب ثلاثة امور (احدها) زعمه ان النساخ من العرب كانوا يحدفون من كتب ابن رشد المواضيع المهمة او يبدلون فيها فراراً من الملام والاضطهاد . اي ان اولئك النساخ كانوا علماء بالفلسفة وبعلم الدين ومكلفين بأن يتصرفوا بما يتقنونه بحسب معارفهم حتى يكون الكتاب مشتملاً على فلسفة النساخ لا فلسفة المؤلف . فاذا خالفوا لامهم من استأجرهم للنسخ او اضطهدهم !!!

ثانيها ان الفيلسوف رنان — الذي زهته الجامعة عن التعصب والذي علمنا عنه انه كان اشد اتمصين على الاسلام حتى ان السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ناظراه في باريس وارجعاه عن كثير من خطئه — قال ان العرب اخطأوا في فهم فلسفة اليونان وثقافتها . ومنهم ابن رشد .

ثالثها انه « لامناص للكاتب العربي اليوم من اخذ تلك الفلسفة عن الافرنج انفسهم ولا يشترط في هذا الاخذ سوى حسن اختيار المؤلف اي ان يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق » وهذا ما توخته الجامعة « اه بنصه

ولا احتمال اغترار الكاتب بهذه المقدمات التي صحح بها قوله بنشره بأنها لا تروج عند احد طلاب العلم لأمر . ( احدها ) ان العرب قد اعتنوا بأمر النقل والرواية اعتناء لم يسبقهم به سابق ، ولم يباحثهم فيه لاحق ، ومن آثار ذلك انهم نقلوا فلسفة اليونان ، بغاية الدقة والإتقان ، وقد تعلموا اليونانية ولهم فيها قواميس . وقد اعترف لهم الافرنج المنصفون بذلك وفضلوهم به على انفسهم ومنهم سيدو المؤرخ الشهير . (ثانيها) ان الافرنج برعوا في علوم التجربة ولكنهم لا يوثق بهم في علوم النقل

فكتبهم طائفة بالكذب على الاسلام والمسلمين في دينهم وتاريخهم . قال سيديرو في مبحث اشتغال العرب بالعلوم الرياضية : « وايس للعرب مجرد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الافرنج » ثم ذكر انهم زادوا عليها ما اخترعوه في هذه الفنون . وقال في أول المبحث الذي عقده « في عدم اقتضار العرب على شرحهم فلسفة ارسطو ما نصه « مربا : « زعم الافرنج انه لم يكن فلسفة عربية وما ذاك الا لجهاهم بأشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوروبا في القرون المتوسطة مستمدة من تأليف العرب الفلسفية » الخ وقال غير ذلك بمناه

(نأها) غير معقول ان الذين كانوا يستسخون الكتب الحكيمية كانوا يرضون بأن يغير النسخ فيها وغير معقول ان النسخ كانوا يستطيعون التصرف في تلك الكتب ويمولون بتلك الاستطاعة .

(رابها) ان ما نقلته الجامعة عن الافرنج غير موثوق به لأن صاحبها غير عالم بالفلسفة فيستطيع نقلها من لغة الى لغة لأنه اذا كان لم يفهم فلسفة المتكلمين بالعربية فكيف يفهم فلسفة ابن رشد واليونان من الفرنسية ؟ ولو فرضنا انه أحسن الفهم فلا سهل علينا أن نفرض انه حسن القصد لظهور نصيبه على الاسلام والمسلمين . وإصراره على هذا التعصب ومماراته ومكابرته فيه بمد بيان الحق له والتي هي أحسن . وقد زعم في هذا الجزء ان المسلمين كاليهود والنصارى يعتقدون ان العالم وجد منذ بضعة آلاف من السنين وليس هذا من اعتقاد المسلمين في شيء . فما يدرينا ان كل نقله من هذا القليل

وأما كلام الجامعة فيها سمته الأمور الجزئية فحسبها فيه الخلط بين الاصطلاحات العلمية ومماني الكلم اللغوية . وزعمها ان ما قاله الامام في علاقة الانسان بالخالق غير صحيح لأن رنان أفرد فصلا لهذا البحث استعان فيه بكلمات ارسطو اليونانية . وهل يقول عاقل ان قول فلان غير صحيح لأن فلانا خالفه فيه . وما يدري صاحب الجامعة ان ما قاله الامام هو الصحيح وما قاله رنان هو الخطأ ان صح نقلها عن رنان هذا وان الامام مطلع على ما كتب رنان وغيره من الافرنج وقد كتب ما كتب

(الخاتمة) نشكر في ختام القول للجامعة ولصاحبها هذا التحامل على الاسلام والمسلمين لأنه كان السبب في تصدي ذلك الامام العظيم الى بيان هذه الحقائق التي تحيي الشعوب الإسلامي في نفوس المسلمين وتبثهم الى العمل بما يرشد اليه دينهم

القويم من الرغبة في العلم والحكمة ، وإِعلاء شأن الأمة ، ومعاملة المخالفين بالمحاشنة ، وان ظهورا بمظهر المحاشنة ، وليس في كلام الإمام ، الا برد الهدون والسلام ، الداعي الى حسن الائتام ، فلا يحشين الرصيف منه إثارة الخصام ، وان كان هو يجب المواطة ويدعو اليها فايدع الكلام فيما يتعلق بالاسلام . فانه ليس من موضوعه ولا يمتيه . ولا علم له بظاهره ولا خفيه ، وهذا القدر يكفيه .

————— ❦ —————

جاءنا من الأستاذ الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي بنصه :

### ﴿ بماذا دفع العلماء نازلة الوباء ﴾

دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الازهر بقراءة متن البخاري موزعاً كراريس على العلماء وكبار المرشحين لتدريس في نحو ساعة جزئياً على عادتهم من اعداد هذا المتن أو السلاح الحبري لكشف الخطوب وتفريج الكروب فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والأسل وفي الحريق مقام المضخة والماء وفي الهیضة مقام الحیطة الصحية وعقاقير الاطباء وفي البيوت مقام الخفرا والمواشرطة وعلى كل حال هو مستنزل الرحمات ومستقر البركات

ولما كان العلماء أهل الذكر والله يقول « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فقد جئت أسألهم بلسان كثير من المسترشدين عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله أو رأي مستدل عليه لأحد المجتهدين الذين يهتدون بهم ان كانوا قد أتوا هذا العمل على انه ديني داخل في دائرة المأمور به . والافن أي حذاق الأطباء تلقوه ليتبين الناس منه أو من مؤلفاته عمل تلاوة متن البخاري في درء الهیضة عن الامة وان هذا داخل في نواميس الفطرة أو خارج عنها خارق لها . واذا كان هذا السر المعجب جاء من جهة أن المقروء حديث نبوي فلم خفن بهذه الزية مؤلف البخاري ولم لم يحجز في هذا موطأ مالك وهو أعلى كعباً وأعرق نسباً واغزر علماً ولا يزال مذهبه حياً مشهوراً . واذا جروا على أن الامر من وراء الاسباب فلم لا يقرؤه العلماء لدفع ألم الجوع كما يقرؤنه لازالة المغص أو التقي والإسهال حتى تذهب شحناء الجراية من صدور كثير من أهل العلم وعلى هذا القياس يقرأ لـ شيء ما دامت العلاقة بين الشيء وسببه مفصومة

فان لم يستطيعوا عنرو هذا الدواء الى نطاق الاطباء سألنا للمم منهم بالتباريح

أن يرشدنا الى من سن هذه السنة في الاسلام وهل قرئ البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة فانا نعلم انه قرئ للعرايين في واقعة التل الكبير فام يلبثوا أن فشلوا ومزقوا شرمزق ونسلم انه يقرأ في البيوت لتأمن من الحريق والسرقة ولكن بأجر ليس شيئاً مذكوراً في جانب أجر شركة التأمين المعروفة مع أن الناس يتسابقون اليها تسابقهم على شراء الدواء اذا نزل الداء ويمدلون عن الوقاية التي نحن بصددنا وهي تكاد تكون بالجمان ويجدون في نفوسهم اطمئناناً لتلك دون هذه

فان لم يجد العلماء عن هذه المسألة اجابة شافية خشيت كما يخشى العقلاء حملة أهل الاقلام عليهم حملة تسقط الثقة بهم حتى من نفس العامة وحينئذ تقع الفوضى الدينية المتوقعة من ضعف الثقة واتهام العلماء بالتقصير وكون أعمالهم حجة على الدين. هذا — وقد لهج الناس بآراء على أثر الاجتماع الهضي الأزهرى .

فن قائل : ان العلماء المتأخرين من عادتهم أن يهربوا في مثل هذه التوازل من الإخذ بالأسباب والاصطبار على تحملها لمشقتها الشديدة ويأجؤون الى ما وراء الأسباب من خوارق العادات لسهولة ولا إيهام العامة انهم مرتبطون بعالم أرقى من هذا العالم المعروف النظام فيكسبون الراحة والاحترام مما فيظهرون على الأمة ظهور اجلال ويمتلكون قلوبهم ويسيطرون على أرواحهم ولهذا تمكثوا حتى فترت شررة الوباء فقرءوا تيمتهم ليوهوا ان الخطر انما زال ببركة تيمتهم وطالع يمينهم

ومن قائل : انهم يخذعون أنفسهم بمثل هذه الاعمال بدليل ان من يصاب منهم لا يعالج مرضه بقراءة كراسة من ذلك الكتاب بل يعتمد على المجربات من التمنع والحل وماء البعد وما شابه أو يلجأ الى الطيب ولا تلتفت نفسه الى الكراسة التي يعالج بها الأمة فهنا يدل على ان القوم يعملون على خلاف ما في وجدانهم لهذه الأمة خادعين أنفسهم بتسليم اعمال سلفهم . ومن قائل : ان عدوا من أعداء الدين الاسلامي أراد أن يشكك المسلمين

فيه فدخل عليهم من جهة تعظيمه فارحى الى قوم من متعلميه السابقين أن يمظموا من شأنه ويرفخوا من قدره حتى يجملوه فوق ما جاءت به الاديان فيدعون كشف نوائب الايام بتلاوة أحاديث خير الأنام ويروجون ما يقولون بأنه جرب وأن من شك فيه فقد طمن في مقام النبوة حتى اذا رسخت هذه العقيدة في الناس وصارت ملكة دينية راسخة عند العوام وجربوها فلم تفلح وقعوا والعياذ بالله في الشك واصابهم دوار الحيرة كما حصل ذلك على أثر واقعة التل الكبير من كثير من الذين لم يتدققوا الدين من المسلمين حتى كانوا يسألون عن قوة البخاري الحربية ونسبته الى البوارج ساخرين

إهداء من شبكة الألوكة  
www.alukah.net  
منه ومن قارنيه وإيلاً وقوف أهل الفكر منهم على أن هذا العمل ليس من الدين  
وأن القرآن يقول: «مواعدُهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباطِ الخيلِ» الخ اضموا وأضلوا  
وقد جراً هذا الأمر غير المسلمين على الخوض في الدين الإسلامي وإقامة  
الحجة على المسلمين من عمل علمائهم ولا حول ولا قوة الا بالله

ويقول قوم: إن التقايد باغ بالعلماء مبلغاً حرم على العقول النظر في عمل  
الساف وان كذبتة العينان. وخالف الحس والوجدان، ويقول آخرون عن لاخبرة  
لهم بهمة العلماء في مثل هذه الكوارث: أما كان ينبغي لهم أن ينبشوا في المساجد  
والأندية والولائم حاثين الناس على الوقاية من العدوى معضدين الحكومة في تسكين  
سورة الأهدين مفاوضين الصحة في فتح المساجد وتمهدها بالنظافة فان هذا يرتبط  
بهم أكثر مما يرتبط بوقد أعيان القاهرة جزاء الله خير الجزاء

فان أعوزهم البيان وخب القلوب بذلاقة اللسان فلا أقل من أن يؤلفوا رسالة في  
فهم ما ورد متشابهاً في موضوع العدوى حتى يعلم الناس ان الوقاية من الداء أمور  
بها شرعا وعقلا وسياسة فيكون كل فرد عارف عضداً للحكومة ولو طلبوا من الصحة  
طبع ما ألفوا وتوزيمه على المصالح والنواحي لبنت ذلك شاكرة وكان لهم الأثر النافع  
هذا ما يقوله القوم في شأن علمائهم رفعة اليهم ليكونوا على بينة منهم لا يتخلطون  
بالناس نائياً الا في الولائم والمآتم وان اختلطوا فقلما يناقشونهم في شيء محرزا من  
حديثهم في المناقشة ورهيم مناظرهم لاول وهلة بالزيغ والزندقة فلذلك يجاملونهم  
ويوافقونهم خشية الهجر والمماندة. أما أنا فاني لا أزال الخ في طلب الجواب الشافي  
عن أسل دفع الوباء بقراءة الحديث وعن منح متن البخاري مزية لم يمنحها كتاب  
الله الذي نعتقد أنه متعبد بتلاوته دون الحديث ولو كان هذا العمل من غير  
العلماء الرسمين اضربت عنهم وعن عمائم صفحاً ولما خطت كلمة ولكنه من علماء  
لهم مراكر رسمية يزاحمون بها مراكر الامراء فيجب أن يؤبه لهم وان ينظر  
لعمالهم بازاء مراكرهم من الأمة التي يسألون عنها والله ولي التوفيق (متصح)

بَابُ الْإِسْلَامِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَاللَّامِ

﴿الإسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية﴾

قد نشرنا من هذا الكتاب مقالين أحدهما اضطراد النصرانية للعلم بمقتضى

أصولها نشر في الجزء الحادي عشر الماضي وأقيسته جريدة المؤيد . وثانيتها أصول الاسلام القاضية بالتسامح مع العلم أينما وجد واكرام العلماء من أي ملة كانوا نشر في هذا الجزء . وبلي هذا مقال آخر في نتائج هذه الأصول الاسلامية المذكورة في هذا الجزء وآثارها في ترقية العلم والعمران . وإيجاد مدينة فاضلة للانسان ، وسينشر في الجزء الآتي مؤيداً بالشواهد التاريخية ، وشهادات المؤرخين والفلاسفة من الأمم الأوروبية ، ويتبع هذا مقال رابع في شرح حالة المسلمين في هذا العصر ، وما نكبوا به في كل قطر ، ويختم الكلام بمقال خامس في كيفية معالجة الداء ، وبيان النجاة من البلاء ، بحسب رأي هذا الطيب الروحاني ، والامام الرباني ، لازال ذخراً للاسلام ، ومرشد للأنام ، وسينشر ذلك سباعاً في المنار وربما وقفنا للتمجيد ببعض الاجزاء واصدارها قبل وقتها اكراماً للقراء ، فقد رأينا منهم اقبالا على ما نُشر و إعجاباً به لم نر ما يشابهه الا إعجابهم بالرد على موسيو هاتو . ولاغرو فهذه الحكم متدفقة من ينبوع واحد ، لا ينكره مكابر ولا حاسد ،

### ﴿ عبرة وتنبية . في موت وجيه ﴾

كتب الينا من بومباي ( الهند ) انه توفي فيها « حسني بك نائب سفير الدولة العلية » فيها فاحتفل المسلمون بتشييده احتفالاً عاماً وغلقوا الدكاكين وتركوا جميع الأعمال عامة يومهم . وسيرسلون كتاباً يعزون به أهله في الاستانة العلية والاعتبار في الخبر من وجوه — أحدها شدة تعاق مسلمي الهند بالدولة العلية ، لأنها أقوى الدول الاسلامية ، وهذا أثر من آثار هداية الاسلام الذي من مقاصده جعل البشر كاهن إخوة . ولو وجد في الهند مثماً يوجد في مصر من أحداث السياسة وخطباء الفتنة الذين يحثون قومهم على بغض كل من لا يمكن له نسب عريق في بلادهم ويسمُّون هذا وطنية لما بقي لحب الدولة العلية في قلوبهم عرق ينبض ، ولا لحقوق المسلمين حكم بفرض ، ( وثانيتها ) ان آمال المسلمين لا تزال معلقة بالسياسة ورجالها ، والحكومات وأعمالها ، وإيتهم ينظرون أو لا ينظرون الى انفسهم وأعمالهم ، ويعتمدوا بعد الله على كفاءتها واستقلالهم . ( وثالثها ) حرية الحكومة الانكليزية فلوان أهل جاوه ارادوا أن يعملوا عملاً كهذا لتصدت لهم الحكومة الهولندية وصدتهم عنه . فيا ليت المسلمين الذين هب عليهم نسيم الحرية المنعش للأرواح يعرفون كيف تكون به الحياة الطيبة ويعملون بما يعملون ولا يحفلون بما يلفظ به الغاشون الذين يقبحون لهم نعمة الحرية بدم مصدرها

## السيد محمد المهدي السنوسي

نمت الينا برقيات اوربا في الشهر الماضي هذا الرجل العظيم الذي اشتهر بالعلم والعمل والدعوة الى الله تعالى والارشاد الى طريق الرشاد فارتبنا في صحة الخبر وبرهنا به التاكيد فما كان الا ان أكدته الجرائد الغربية تأكيداً وتبعها غيرها .

وقد اطمانا اليوم قبل طبع على كتاب من طرابلس الغرب لأحد التجار جاء فيه مانصه :  
« وردت مكاتيب مشعرة بوفاة الاستاذ المهدي وبالتحقيق لم يثبت ذلك الى الآن

أصلاً بالكلية بل المتحقق انه انتقل الى جهة من الجهات مجهولة .

« محاربة الفرنسيين بالأقطار السودانية لم يحصل على خبر منها الى الآن وقد كان في تلك المحاربة رجل من الجزائر أتى الى قسطنطينة إحدى الممالك الجزائرية وأرسل الينا جواباً يفيد انه قادم الى طرفنا وعند وصوله نفهم منه حقيقة الواقع تفصيلاً واجمالياً وما الذي سيصنعه الفرنسيون بخصوص ما ذكر ونعرفكم بذلك والسلام » اهـ

وسأني البحث في ذلك وقول من يكذب خبر المحاربة فيما نشره من ترجمته

(الترجمة) جمع هذا الرجل من الصفات والحلال ، ما يندر أن يكون لأحد من الرجال ،

— الشرف والعلم والزهد والارشاد وسيادة المصيبة فهو الرجل الذي الوحيد الذي

كانت تلهج بذكره الجرائد الأوربية وتستقري أعماله وتتبع حركاته وسكناته وبني

علمها الآراء السياسية بل كان على زهده وانزوائه في زاويته أشبه بملك عظيم أوقاد

باسل مستعد لكفاح الاقران ، وقتوح البلدان . وكان الناس في أوربا وفي الشرق

مختلفين في أمره ، وهائمين في أودية الظنون من شأنه ، والا كثرون يعتقدون أن

طريقته جامعة بين الدين والسياسة ومن أسو لها الاستمداد للمدافعة والمقارعة عند الحاجة

الى ذلك . واشتهر بين الناس في هذه البلاد وغيرها ان أتباعه كانوا يعتقدون انه

المهدي المنتظر . وقد عرفت أحمد دراويشه الصالحين من صحراء طرابلس الغرب

واستفدت منه فوائد كثيرة عن السنوسيين فكان مما قاله انهم يعتقدون ان شيخهم هو

المهدي المنتظر وأنه سيحج ويبيع في حرم مكة وفي عرفة « الشك » في ، وقال :

اذا ذهب سيدي المهدي الى الحجاز فلا تخلف احد من المغاربة عن الحج في تلك

السنة الا لعجز مقعد . وكان يقول أيضاً : ان من اصول الطريقة احياء الارض

وغرس الاشجار واقتناء السلاح . ونحن نعلم ان للسنوسيين أتباعاً في مصر يكتمون

كل ما يعرفون من أمرها بل يكتمون في الغالب كونهم من أهلها

مثل هذه الأخبار وذلك الاحتمار ، هو الذي أثار في النفوس عندنا ما أثار ،



وأما الأوربيون فمشتا نواهمهم وأحلامهم في السنوسيين حراند فرنسا وكسها ( راجع صفحة ١٧٨ وما بعدها من محلد المنار الأول مجدفيه القول التي تؤيد هذا ) .  
وقد باننا أن الحكومة الفرنسية قد خصصت مئة ألف فرنك في كل سنة لمقاومة سلطة أصحاب الطريق في الجزائر وما يابها ويتصل بها وان الذين يأخذون هذا المال هم الذين كانوا يعظمون أمر التيجانية ثم صاروا يعظمون أمر السنوسية بما يكتبونه في الجرائد والكتب والله اعلم بالحقيقة . وانما غرضنا من هذه الجملة كلها بيان اختلاف الناس في امر السنوسية وعذرهم في هذا الاختلاف

وقد كتب في جريدة ( الحاضرة ) التونسية مقالة بتوقيع ( محمد الحشايشي ) في بيان الطريقة السنوسية وترجمة صاحبها . قال الكاتب انه كتب عن عام وروية لانه ساح في الصحراء الكبرى وما جاورها من البلاد المجهولة واختبر السنوسيين الاختبار التام وكتب في ذلك رحلة سماها الرحلة الصحراوية . وخلص من مقالته المفيد لأنها اوسع ما كتبه المسلمون في هذا الرجل الكبير فقول

ساق اولاً نسبة الى سيدي ادريس بن عبدالاله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي من فاطمة الزهراء عليهم السلام . ثم قال ان صاحب الترجمة من مدينة مستغلم بممالة وهران ( التابعة لجزائر ) من قبيلة الحطاطبة . ارحل والده الى مدينة فاس في سنة ١٢٢٩ بعد ان حفظ القرآن بالروايات السبع وكان ابن عام فاجتمع بالشيخ أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية الشهير وتلقى هناك العلوم حتى برز فيها ثم ارحل الى المشرق سنة ١٢٤٥ قاصداً أداء فريضة الحج . وظهرت له كرامات عديدة في طريقه فأقام بمكة المشرفة سنين عديدة ونشر في أثناءها طريقته المستمدة من نفس الطريقة الحمديدية التي أخذ احازتها عن سيدي أحمد بن ادريس . فانتشرت الطريقة في الحجاز واليمن الى ان بافت العراق وفي سنة ١٢٥٩ انتقل الى الحيل الأخضر من وطن درنه وبنغازي ( من ولاية طرابلس الغرب ) وتصدى الارشاد . وولده صاحب الترجمة سنة ١٢٦٠ بالزاوية البيضاء فرباه التربية الدينية في مهد العام والارشاد . حفظ القرآن في الثامنة ثم حفظ الكثير من المتون الفقهية وغيرها واشتغل بطلب العام على الاستاذ الحافظ لشيخ أحمد الربيعي بعد ما قرأ القرآن على مؤدبه الشيخ هاشم الصفاقي والحافظ الشيخ مدين وأخذ عامي التفسير والتجويد عن والده وعلوم الادب عن الشاعر الأديب الشيخ محمد أبو سيف وعامي الحديث والأصول عن الشيخ أحمد الربيعي . جميع هؤلاء من علماء المغرب بعضهم من الاقصى وبعضهم من الاذي